

التجارة والحرف في المغرب الأوسط

المحور الأول: التجارة ومميزاتها

أ/تعريف التجارة

ب/أنواع التجارة

1-التجارة الداخلية

2-التجارة الخارجية

ج/عوامل نموها

د/عراقيل تطورها

1-صعوبات طرق التجارة البعيدة

2-كساد السلع برخص الأسعار

هـ/أصناف التجار

أ/التجار المستقرون

ب/التجار المتجولون

ج/التاجر الخزان

د/التاجر الركاض

هـ/التاجر المجهز

و/طرق تحصيل الربح في التجارة

ز/نوع البضاعة الجالبة للربح:

أ/البضاعة الوسط بين الجيدة والرديئة

١١/البضاعة القليلة العرض كثيرة الطلب

ح/الممارسات التجارية الفاسدة:

١/الاحتكار

١١/الغش

ثانيا/التجارة الخارجية

أ/محفزات التجارة الخارجية

١/نظرة الإسلام الإيجابية للتجارة

١١/مساهمة الدولة في تنمية التجارة

١١١/موقع بلاد المغرب الأوسط الاستراتيجي

١١١١/سهولة المواصلات

١١١١١/توفر الأمن

١١١١١١/التطور الزراعي والصناعي

١١١١١١١/المعاهدات التجارية

ب/عراقيل التجارة الخارجية

١/النظرة السلبية إلى التجارة

١١/قطاع الطرق

١١١/تجارة السلطان

١١١١/قلة رؤوس الأموال

١١١١١١/المنافسة الأجنبية

١١١١١١١١/فرض الضرائب والمكوس

ج/المسالك والطرق التجارية

ا/الطرق الخارجية

اا/الطرق الداخلية

د/وسائل المواصلات

ا/الوسائل البرية

اا/الوسائل المائية

1_الأنهار

2_البحار

ااا/نظام سير القوافل

هـ/الصادرات والواردات

ا/الصادرات

اا/الواردات

ثالثا/الأسواق وتنظيمها

أ-تعريف السوق

ب-أنواع الأسواق

ا/الأسواق اليومية

اا/الأسواق الأسبوعية

ااا/الأسواق المؤقتة أو الموسمية

ج/نظام الحسبة أو صاحب السوق

د/الأسعار

هـ/النقود والأوزان والمكاييل

المحور الثاني: الحرف والمهن

أ/حرفة الفلاحة:

١/تعريفها:

١١/قدمها:

١١١/بداوتها:

ب/حرفة البناء:

١/تعريفها:

١١/دوافعها:

١١١/أقدميتها:

١١١١/مواد وطريقة البناء

1 / الطريقة الأولى

2/الطريقة الثانية:

١١١١١/إختلاف الناس في أشكال البنيان:

ج/حرفة النسيج والحياكة والخياطة

١/تعريفها:

١١/أقدميتها:

1/النسيج والحياكة عند أهل البادية

2/ الخياطة عند أهل الحضرة:

_تعريف الخياطة:

_ طريقة أهل الحضرة في الخياطة:

_ اختصاص أهل الحضرة بحرفة الخياطة:

111/المواد الأولية:

1111/أنواع الثياب:

د/حرفة النجارة

ا/تعريفها:

11/أقدميتها

1/حرفة النجارة عند أهل البادية

2/حرفة النجارة عند أهل الحضرة

ه/المعادن

و/الخزف والفخار

ز/الدباغة والجلود

قائمة المصادر والمراجع

1-ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري: لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط1

2-ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد[732-808هـ/1332-1406م]: المقدمة، دار الفكر، ط3، 1417هـ/1996م

3 -عباس حسن الحسيني:دستور المهن في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000م

4-جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م

-حنان قرقوتي: الزراعة والصناعة والتجارة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م

- بن الخطيب لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة

¹-بيللى إبراهيم أحمد العلمي:العناية بالتجارة في الاقتصاد الإسلامي، التركي للكمبيوتر والطباعة، طنطا، ط1، 2007م، ج2ص837-840
¹- الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك (279هـ): سنن الترمذي، تح:محمد فؤاد عبد الباقي شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط2، 1395 هـ /1975 م، (ج3/ 507)

¹- علي محمد محمد الصلاحي: الحركة السنوسية في ليبيا، الإمام محمد بن علي السنوسي ومنهجه في التأسيس (التعليمي والحركي والتربوي والدعوي والسياسي)، (ج1/ 75-76)

¹-ابن الصباح الحاج عبد الله: أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار(رحلة المدجن)، تح:محمد بن شريفة، دار أبي رقرق، ط1، 2008م، ص96_97

¹-مقديش الصفاقسي:نزهة الأنظار، ج1، ص74-76
¹-الإدريسي:أنس المهج وروض الفرج، تح:الوافي نوح، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المملكة المغربية، ط1، 2007م، ص194-195

¹¹- ابن مليح السراج:أنس الساري والسارب ، ص2

¹- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، ط4، 1422هـ/ 2001م (ج13/ 258)

¹- ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري (749هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1423 هـ، (4/ 211)

¹- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي (255هـ):التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، تح:حسن حسني عبد الوهاب التونسي، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط3، 1414هـ/1994م، ص28

¹- محمد بن عبد المنعم الحَميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح:إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت -، ط2، 1980 م ، (ص426)

¹-الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (ص66)

¹- القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، (ص21)

¹- ابن سعيد المغربي:الجغرافيا (ص: 34)

¹- الزَّيدي أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، (ج25/ 476)

¹- أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز: المغرب في ترتيب المغرب، تح: محمود فاخوري و عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد - حلب، ط1، 1979، (ج1/ 422)

¹- إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار: المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (ج1/ 464)

¹- ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي: فتح الباري، دار المعرفة - بيروت ، 1379هـ، (ج1+2+3+4+10+11)

¹- ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون، (ج1/ 362)

- ابن ماجه: كتاب السنن، (ج2/ 752)

¹- محمد بن فتوح الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تح:علي حسين البواب، دار ابن حزم - بيروت،

1423هـ/2002م، ط2، (ج3/ 220)

1- أبو داود: كتاب السنن، (ج1/ 406)

1- البيهقي: السنن الكبرى، (ج3+7)

1- حسن الوزان: وصف إفريقيا، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، ج2، ص26-27

1- ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة بيروت، 1992م، ص89

1- خالد بلعربي: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان [633-681هـ/1235-1282م]، دار الألمعية الجزائرية، ص128

1- سناء عطابي: الفقه وتنظيم المجال الحضري في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري/الثالث عشر والخامس عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه تحت إشراف: علاوة عمارة، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، السنة الجامعية 2017-2018، ص473

1- أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية - بيروت، (ج1/ 135)

1- الفيروزآبادي محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، (ص95)

1- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد حبيب (ت 450 هـ): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص91.

1- عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ): الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ومحطات من تأثيرها في سائر

الأمم، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، 1418هـ-1998م، (ص: 632)

1- عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة الجزائرية، ص149

1- صالح بن قرية: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائرية، ص287

1- رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 1977م، ص154

1- ياقوت الحموي أبو عبد الله بن عبد الله: معجم البلدان، دار الفكر - بيروت، (4/ 362)

1- ابن مريم: البستان، ص42

1- مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986 م، (ص170)

1- بن سيده المرسي أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (458هـ): المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هندراوي،

دار الكتب العلمية بيروت، 2000م، (ج3/ 307)

1- الخزاعي أبو الحسن ابن ذي الوارثين علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود (789هـ): تخرّيج الدلالات السمعية على ما

كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط2،

1419 هـ، (ص 775)

1- الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم

الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2017م

1- محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر (639-733هـ): تحرير الأحكام في

تدبير أهل الإسلام، تح: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الثقافة قطر، 1408هـ/1988م، (ص 144)

1- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني (871هـ/1467 م): تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ

الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي الشنوفي، المعهد الثقافي الفرنسي - دمشق، 1967 م، (ص29)

1- كمال صادقي: الصناعات الحرفية بالمغرب الأوسط في عهد بني حماد (398-547هـ/1007-1152م)، رسالة ماجستير، إشراف: إسماعيل

سامعي، جامعة الأمير عبد القادر، 1427-1428هـ/2006-2007م، ص139

1- ابن سعيد المغربي ت 685هـ/1287م: الجغرافيا (ص 34)

- 1- ، الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (1396هـ):الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، - أيار / مايو 2002م، (ج1 / 231)
- 1- أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنيكتي السوداني، أبو العباس (1036 هـ): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، ط2، 2000 م، (ص129-130)
- 1- أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلبي، (المتوفى: بعد 367هـ): صورة الأرض، دار صادر، أفسس ليدن، بيروت، 1938 م، (ج1 / 77)
- 1- يحيى بن عمر الأندلسي: أحكام السوق النظر والأحكام في جميع أحوال السوق، تق محمد العمراوي، د ط، د م ط، د د ن، 2012م، ص59.
- 1- أبو القاسم البرزلي: فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتي والأحكام، ط1، تح الحبيب الهيلة، دار الغرب الاسلامي، 2002م، ج4، ص156.
- 1- المقدسي، أحسن التقاسيم، ط2، ص288.
- 1- الحسن بن أحمد المهلب العزيمي (المتوفى: 380هـ): الكتاب العزيمي أو المسالك والممالك (ص: 47)
- 1- البكري: المسالك والممالك (2 / 732)
- 1- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (22 / 149)
- 1- ابن حوقل أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلبي (بعد 367هـ): صورة الأرض، دار صادر، أفسس ليدن، بيروت، 1938 م، (ج1 / 77)
- ابن الزيات التادلي: التشوف، رقم: 162 ص319-326 +
- ابن الأبار: التكملة، 2015+
- ابن الزبير: صلة الصلة، ج4، ص223، +
- الغبريني: عنوان الدراية ص22+
- ابن الطواح: سبك المقال، ص64 + 65+
- ابن قنفذ: أنس الفقير، ص14-22،
- ابن الملقن: طبقات الأولياء ص297
- أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج2 ص50
- 1- البيهقي، أخبار المهدي ابن تومرت، د ط، الرباط، دار المنصور للطباعة، 1971، ص13.
- 1- الغبريني: عنوان الدراية، ص09

1- الذيل، السفر 5 القسم 2، ص 648+

جدوة الاقتباس ج 1 ص 271-272، رقم: 277

1- صلة الصلة، ج 4، ص 223،

1- عيسى بن الذيب وآخرون: الحواضر والمراكز الثقافية خلال العصر الوسيط، المركز الوطني للجزائر، ص 82.

1- يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 2، 1999م، ص 158.

1- حساني مختار: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة، 2007، ج 3، ص 80.

1- ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني: الكامل في التاريخ، تح: عبد الله القاضي، دار

الكتب العلمية - بيروت - 1415هـ، ط 2، (9/ 285)

1- ناهض عبد الرزاق القيسي، الفخار والخزف، دار المناهج، الأردن، ط 1، 2009م، ص 101.

1- إسماعيل العربي، دولة بني حماد، ص 241.

1 - محمد الطمار، المغرب في ظل صنهاجة، ص 234.

1- الحسن بن أحمد المهلي العزيري (المتوفى: 380هـ): الكتاب العزيري أو المسالك والممالك (ص: 47)

- عبد الرحمن الجليلي، تاريخ الجزائر العام، د ط، الجزائر، دار الأمة، 2008م، ج 1، ص 379. / يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص

158¹

1 - يوسف عابد، الموحدون في بلاد المغرب (515 - 595 هـ / 1120 - 1199 م) - دراسة في الحياة الاجتماعية

والاقتصادية، مذكرة دكتوراه، إشراف عبد العزيز فيلاي، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2006 - 2007 م، ج 2، ص

446¹

- جمال أحمد طه، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي، ط 1، الإسكندرية، دار الوفاء، 2008، ص

199¹

- القفطي، أنباه الرواة على أنباء النحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، بيروت، دار الفكر العربي، 1406 هـ / 1982م،

ص 333¹

1- صالح بن قربة: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ص 287

1- ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب (ص: 121)

1- المالكي، رياض النفوس، تح بشير البكوش، ط 2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994، ج 1، ص 392.

1 - السقطي، في آداب الحسبة، ص 63.

التجارة والحرف في المغرب الأوسط

المحور الأول: التجارة ومميزاتها

أ/تعريف التجارة

أ/لغة: مصدر بَجَرَ يَتَجَرُّ بَجْرًا وَبِجَارَةً باع وشرى وكذلك ابْتَجَرَ، ورجلٌ تاجِرٌ والجمع تَجَارٌ بالكسر والتخفيف وَبِجَارٌ وَبَجْرٌ، وَأَرْضٌ مَتَجَرَّةٌ يُتَجَرُّ إِلَيْهَا وفي الصحاح يتجر فيها وناقاة تاجر نافقة في التجارة والسوق، تقول العرب إنه لتاجر بذلك الأمر أي حاذق¹
أ/اصطلاحاً: عرفها ابن خلدون بقوله: التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخيص وبيعها بالغلاء²، أو قال هي تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها بأعلى من ثمن الشراء إما بانتظار حوالة الأسواق، أو نقلها إلى بلد هي فيه أنفق وأعلى، أو بيعها بالغلاء على الآجال³، أو قال: هي شراء البضائع والسلع وادخارها يُتَّحِنُ بِهَا حَوَالَةَ الْأَسْوَاقِ بِالزِّيَادَةِ فِي أَمْثَانِهَا وَيُسَمَّى رِبْحًا⁴، قال بعض الشيوخ: التجارة اشتراء الرخيص وبيع الغالي.

وعليه يمكن تعريف التجارة على أنها تبادل المنافع أو السلع والبضائع في شكل مقايضة⁵ أو هي عملية بيع وشراء بين الأفراد والجماعات، أو هي حرفة يمتنها البعض بقصد تحصيل الربح عن طريق البيع والشراء⁶، أو هي تحريك المال بالبيع والشراء لغرض الربح.

أ/مصطلح التجارة في القرآن: ورد ذكر مصطلح التجارة في القرآن الكريم في ستة مواضع وبمعنيين، ورد بالمعنى الأول البيع والشراء في أربعة نصوص منها قوله تعالى: {إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ}⁷، وفي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ}⁸، وقوله تعالى: {رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ}⁹، وقوله تعالى: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَمُّوا انْفِصَالًا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}¹⁰، أما بمعنى أنه يشتري بعمله الصالح الثواب من عند الله تعالى فورد في نصين، كقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً

¹ - ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط1، (ج4/ 89)

² - ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد [732-808هـ/1332-1406م]: المقدمة، دار الفكر، ط3، 1417هـ/1996م، ص494

³ - المصدر نفسه، ص495

⁴ - المصدر نفسه، ص498-599

⁵ - عباس حسن الحسيني: دستور المهنة في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000م، ص431

⁶ - جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،

1992م، ص125

⁷ - [البقرة: 282]

⁸ - [النساء: 29]

⁹ - [النور: 37]

¹⁰ - [الجمعة: 11]

يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (29) لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (30) {11}، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) } {12}

ب/نشأة التجارة

ارتبطت التجارة في ظهورها بإنتاج البضائع والسلع ووفرتها بحيث تزيد عن الحاجة، مما يؤدي بصاحبها للبحث عن مبادلتها ببضاعة أو سلعة أخرى هو في أمس حاجة إليها، ولا تزال تمارس بهذا الأسلوب عند بعض البدائيين¹³، أو بيعها بالنقود عند ظهورها، ومن ثم كانت نشأة التجارة منذ زمن قديم

ج/أنواع التجارة

أ/التجارة الداخلية: هي المبادلات التي تحصل بين المدينة وأريافها، وتمارس في أسواق ثابتة في المدن، أو الأسواق المتنقلة التي تجوب الآفاق، أو الأسواق الموسمية¹⁴.

ب/التجارة الخارجية: وهي مجموعة من النشاطات التي تعتمد على تداول المنتجات بين دولة ما ودول أخرى، وتتمثل في تبادل الخدمات ورؤوس الأموال ومختلف السلع والبضائع عن طريق حدودها الجغرافية، وتمارس بطريقتين، تجارة برية وتتم عبر القوافل، وتجارة بحرية وتتم عبر البحار¹⁵.

د/ عوامل نموها وأسباب تطورها: تضافرت عدة أسباب وساعدت على نمو وتطور التجارة منها:

أ/العوامل الدينية:

1/وفرة النصوص الدينية والمقدسات: وردت نصوص دينية إسلامية كثيرة تحث على العمل والكد بصفة عامة، وممارسة التجارة بصفة خاصة، وقد ذكرنا ذلك في عنصر مصطلح التجارة في القرآن الكريم، أما في السنة النبوية فقد وردت نصوص أخرى ترفع من درجة الصادقين في تجارتهم وأعمالهم منها حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ)¹⁶، كما أن زيارة الأماكن المقدسة لأداء المناسك، كثيرا ما ارتبطت بتجارة القوافل¹⁷، مما شجع على ممارسة التجارة وسهل من عملية تنقل البضائع بين مختلف أقطار العالم الإسلامي.

2/انتشار الإسلام: انتشر الإسلام وعم كل قارات العالم، كما ساهم التجار في نشره، فدخل الكثير من الشعوب في دين الله أفواجا، كمنطقة جنوب شرق آسيا وشرق إفريقيا، مما سهل ويسر التجارة في هذه المناطق وغيرها، وصار تنقل القوافل التجارية بين المشرق والمغرب بشكل معهود من دون حدود مانعة.

11- [فاطر: 29، 30]

12- [الصف: 10، 11]

13- عباس حسن الحسيني: دستور المهنة في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000م، ص 431

14- حنان قرقوتي: الزراعة والصناعة والتجارة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1427هـ/2006م، ص 87

15- المرجع نفسه، ص 88

16- الترمذي: سنن الترمذي، (ج 3/ 515)، رقم: 1209، قال أبو عيسى هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وصححه الألباني

17- حنان قرقوتي: الزراعة والصناعة والتجارة، ص 87

11/العوامل الجغرافية: اختلاف التضاريس الطبيعية والأحوال المناخية، أدى إلى اختلاف وتنوع الانتاج الزراعي والصناعي بين منطقة وأخرى، كالاختلاف بين الشمال والجنوب في المغرب الأوسط، فاشتهر الجنوب بإنتاج التمور بينما اشتهر الشمال بإنتاج الحبوب والفواكه، بينما اشتهرت السواحل بالسّمك والمرجان، وهذا يؤدي إلى تبادل البضائع وانتقالها من الأماكن التي تتوفر بها وتحقق بها الفائض إلى الأماكن التي تعاني نقصا وحاجة إليها¹⁸.

111/العوامل السياسية:

1/تنظيم التجارة: ويتمثل في دور السلطة السياسية الحاكمة والتي تشرف على تنظيم التجارة، حيث كان للحكام دور بارز في نمو التجارة، وذلك بمحافظتهم على آدابها، ورعاية طرقها بتوفير الحماية والأمن وتنظيم الأسواق وإسنادها إلى محتسبين يشرفون على تسييرها¹⁹.

2/عدم فرض الضرائب الباهضة: تلتزم الدولة الإسلامية بالاكْتفاء بفرض الضرائب الشرعية فقط وهي يسيرة على رسوم التجارة والبضائع المتنوعة، فقد اقتصر الرستميون على الضرائب الشرعية التي حددها الإسلام فقط، ولم يعملوا على جباية أي ضريبة غير شرعية تشغل كاهل التجار، مما ساهم في رفع الانتاج ومضاعفته، ورفع مستوى الرخاء الذي أدى إلى نشاط التجارة²⁰.

3/توفير الأمن: عمل الرستميون على حماية القوافل التجارية بجيوشهم فتوفر الأمن في وقتهم للقوافل التجارية وكذلك سائر دول المغرب الوسط، حيث توفر الأمن للتجار على أموالهم وحرية حركتهم²¹.

1111/العوامل الاقتصادية:

1/وفرة الأسواق وتنظيمها: احتوت كل مدينة في المغرب الأوسط على سوق كبيرة، لرواج البضائع ومختلف المنتجات، مما ساعد على اتساع رقعة التجارة، وإقبال التجار على الأسواق في شكل قوافل، ومن جهة أخرى تم تنظيم السوق بحيث يختص مكان معين ببضاعة معينة، وذلك حت لا يقع التلاعب بالأسعار، ويسهل على المحتسب مراقبتهم، كما تيسر عملية النقل بين تاجر وآخر، وهذا يمثل بدوره عامل ازدهار للتجارة²².

2/وفرة النقود: تسهل وفرة النقود عملية التبادر التجاري، وتوفر النقود بكل أشكالها دراهم أو دنانير وأجزائهما ومكاييل متنوعة، يشكل هذا كله عامل مساعد في نمو التجارة²³.

18- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م،

19- المرجع نفسه، ص 126

20- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص 127

21- المرجع نفسه، ص 129

22- المرجع نفسه، ص 128

23- المرجع نفسه، ص 129

العوالم الاجتماعية: كان هناك تباين واضح بين سكان المدن والأرياف، حيث أن حاجتهم تختلف وكذلك منتوجاتهم، فتنقل السلع من هؤلاء إلى هؤلاء، فكان سكان الأرياف يجدون حاجاتهم في سلع أهل المدينة، كما أن أهل المدينة يجدون حاجتهم الغذائية خصوصا عند أهل الريف، ومن ثم اختص الريف بإنتاج الغذاء، واختصت المدينة بالإنتاج الحرفي، وفي المجتمع المتميز بالتباين تزداد حيوية التجارة²⁴.

ه/عوائق وعراقيل نمو وتطور التجارة

ا/العوائق السياسية:

1/انعدام الأمن: تأثر التجارة في نموها وتطورها بوفرة الأمن، وفي حال انعدام الأمن بما يشكله قطاع الطرق من أخطار على طرق التجارة يعد من أهم عوائق نمو وتطور التجارة، حيث يصبح التاجر غير آمن على نفسه وبضاعته، مما يؤدي به إلى الأحجام عن المغامرة بماله.

2/تجارة السلطان: يمكن للحاكم بما أوتي من عظيم رؤوس الأموال أن يزاحم غيره من التجار، إلى درجة قد تؤدي ببعضهم إلى الإفلاس وكساد تجارة البعض الآخر²⁵، قال ابن خلدون: في التجارة من السلطان مضرة بالرعايا مفسدة للجبايا²⁶.

3/فرض الضرائب والمكوس الإضافية: فإن فرض الضرائب المتنوعة والباهضة يعيق نمو التجارة، لأن الضرائب والمكوس تضاف إلى الأسعار، مما يؤدي إلى ارتفاعها، فيقل الطلب السلع، فالضرائب غير الشرعية تثقل كاهل التجار، وتؤدي إلى ارتفاع الأسعار، وضعف القدرة الشرائية وكساد الأسواق²⁷، قال ابن خلدون: يستحدث صاحب الدولة أنواعا من الجباية يضرها على البياعات، ويفرض لها قدرا معلوما على الأثمان في الأسواق، وعلى أعيان السلع في أموال المدينة،... وربما يزيد في ذلك زيادة بالغة فتكسد الأسواق لفساد الآمال، ويؤذن ذلك باختلال العمران²⁸.

اا/العوائق الاقتصادية:

1/ كساد السلع برخص الأسعار: إذا طال زمن الرُخص في سلعة من مأكول أو ملبوس أو متمول، ولم يحصل للتاجر حواله الأسواق، فسد الرّيح والنماء بطول تلك المدة، وكسدت سوق ذلك الصنف، فقعد التجار عن السعي فيها وفسدت رؤوس أموالهم²⁹.

²⁴- المرجع نفسه، ص 128

²⁵- المرجع نفسه، ص 130

²⁶- ابن خلدون: المقدمة، ص 346

²⁷- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص 127، 131

²⁸- ابن خلدون: المقدمة، ص 346

²⁹- ابن خلدون: المقدمة، ص 499

2/ اختلاف النقود والمكاييل والأوزان: وقع الاختلاف في المغرب الأوسط في بعض المكاييل والأوزان، كاختلاف مكاييل وموازن تيهرت عن تنس، وكذلك اختلاف النقود بين الرستميين والإمارات العلوية والمناطق الأغلبية³⁰، مما يشكل عائقا يحد من حرية المبادلات التجارية وعماملا مثبطا للتجارة ككل.

3/ التعامل بالربا: يعتبر الربا دخلا لا يقابله عملا، أو جني فائدة دون عمل مقابل لتلك الفائدة، وهو مجرد اتجار بعنصر الزمن واستغلال حاجة الفقير، وهو يؤدي إلى ثقل حركة رؤوس الأموال ويؤثر سلبا على نمو العمل التجاري، ولهذا حرّمته الشريعة الإسلامية³¹.

4/ احتكار السلع: الاحتكار هو حبس البضاعة انتظارا لغلائها، أو هو استيلاء تاجر بعينه على بضاعة معينة بيعا وشراء، والمحتكر هو الذي يتلقى البضاعة المحلوبة فيأخذها كلها ثم يجبسها ولا يبيعها وينتظر الغلاء، وقد نعت الشريعة في نصوصها عن الاحتكار وذلك لمنع الضرر الحاصل منه، ولهذا منع الرستميون الاحتكار كما أمرت الشريعة، كما تدخل الفاطميون لمنع الاحتكار مباشرة أو بواسطة المحتسب³²، قال ابن خلدون: احتكار الزرع لتحين أوقات الغلاء مشعوم³³.

11/ العوائق الطبيعية: كتعرض التجار للكوارث الطبيعية كما يحصل في فصل الشتاء من أحوال وسيول، مما يشكل خطر كبير على طرق التجارة ويعرقل نموها وتطورها³⁴، كما أن الطرق التجارية البعيدة تشكل أيضا عقبة صعبة أمام نمو وتطور التجارة، قال ابن خلدون: البلد البعيد المسافة، أو في شدة الخطر في الطرقات، كالمسافرون من المغرب إلى بلاد السودان أو المشرق، لبعدهم وطريقهم ومشقته واعتراض المفازة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش، فهي تفتقد إلى الماء إلا في أماكن معلومة، لا يهتدي إليها يهتدي إليها إلا أدلاء الركبان، فلا يرتكب خطر هذا الطريق وبُعده إلا القليل من الناس³⁵.

و/تعريف التاجر وأصناف التجار:

1/ تعريف التاجر: التاجر هو الذي يتبايع بالأخذ والعطاء بغرض الزيادة فيما يأخذ على ما يعطيه

11/ أصناف التجار ونماذج منهم:

1/ التجار المستقرون: وهم أصحاب الحوانيت الثابتة أو الذين لهم أماكن مستقرة في السوق يلزمونها حتى المساء، ثم يشغلونها في غدهم³⁶.

30- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص 132

31- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص 130

32- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص 135، 155

33- ابن خلدون: المقدمة، ص 497

34- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص 132

35- ابن خلدون: المقدمة، ص 497

36- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص 146

2/التجار المتجولون: هم التجار المتنقلون بين المدن والقرى والمداشر ببضاعتهم، يتحدون مخاطر الطريق، وكانوا يقبون بدوي الأرجل المغبرة، وهم غالبا التجار الذين لا يملكون أرضا يقاتون بخيراتهما، وهم من ذوي الوجوه البائسة الذين اتخذوا التجارة موردا للحصول على لقمة العيش، وحماية أنفسهم من الفقر³⁷.

3/التاجر الخزان: وهو التاجر الذي يشتري السلعة في موسمها، حيث تكون وفيرة وكثيرة العرض، ثم يحتفظ بها حتى تتغير أسعارها، عند ندرتها في السوق ووفرة الطالبين لها، وحتى ينجح في ذلك عليه أن يكون عارفا بأحوال البضائع وأماكن توفرها وأسعارها³⁸.

4/التاجر الركاض: وهو التاجر المتنقل ببضاعته بين مختلف البلدان والمدن، بحثا عن السلع للمتاجرة بها، وحتى يكون ناجحا عليه أن يكون عارفا بأسعار السلع بين المدينة التي هو بها والمدينة المسافر إليها³⁹.

5/التاجر المجهز: وهو التاجر الذي يتخذ وكيلا له في مدينة أخرى أو بلد آخر يجهز إليه السلع، ثم يتولى هذا الوكيل بيع السلعة وشراء سلع أخرى يقوم بتصديرها إلى التاجر المجهز، وحتى تنجح تجارته لا بد أن يختار وكيلا أميناً وذا خبرة بالتجارة⁴⁰.

6/نماذج من تجار المغرب الأوسط بتلمسان وبجاية

قال المقرئ: عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقرئ، صاحب أبي مدين، الذي دعا له ولدته، بما ظهر فيهم من قبول وتبين. وهو أبي الخامس فأنا محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن، ... ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة، فمهدوا طريق الصحراء بجزر الآبار وتأمين التجار. واتخذوا طبل الرحيل، وراية التقدم عند المسير. وكان ولد يحيى، الذي كان أحدهم أبو بكر، خمسة رجال. فعقدوا الشركة بينهم فيما ملكوه، وفيما يملكونه على السواء بينهم والاعتدال، وكان أبو بكر ومحمد، وهما أرومتا نسبي من جميع جهات الأم والأب بتلمسان، وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة، وعبد الواحد وعلي. وهما شقيقاهم الصغيران، بأي والاتن فاتخذوا هذه الأقطار والحوايط والديار، فتزوجوا النساء. واستولدوا الإماء. وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع. ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر، والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الرجحان والخسران، ويكاتبهما بأحوال التجار، وأخبار البلدان، حتى اتسعت أموالهم، وارتفعت في الفخامة أحوالهم، ولما افتتح التكرور كورة أي والاتن وأعمالها، أصيبت أموالهم، فيما أصيب من أموالها، بعد أن جمع من كان بها منهم إلى نفسه الرجال، ونصب دون ماله القتال، ثم اتصل بملكهم فأكرم مثواه، ومكنه من التجارة بجميع بلاده، وخاطبه بالصديق الأحب، والخالصة الأقرب، ثم صار ي كاتب من بتلمسان، يستقضي منهم مآربه، فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة، وعندني من كتبه وكتب الملوك بالمغرب، ما ينبئ عن ذلك. فلما استوثقوا من الملوك، تذلت لهم الأرض للسلوك، فخرجت أموالهم عن الحد، وكادت تفوق الحصر والعد، لأن بلاد الصحراء، قبل أن يدخلها أهل مصر كانت تجلب لها من المغرب ما لا بال له من السلع، فيعاوض عنه بما له بال من الثمن... ولما هلك هؤلاء الأشياخ، جعل أبناؤهم ينفقون مما تركوا لهم ولم يقوموا بأمر التثمين قيامهم، وصادفوا توالي الفتن، ولم يسلموا من جور السلطان، فلم تزل حالهم في نقصان إلى هذا الزمان فما أنا ذا لم أدرك في ذلك إلا أثر نعمة اتخذنا فصوله عيشاً،

³⁷-المرجع نفسه، ص146-147

³⁸-المرجع نفسه، ص148

³⁹-المرجع نفسه، ص148

⁴⁰-المرجع نفسه، ص148-149

وأصوله حرمة. ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب، وأسباب كثيرة تعين على الطلب، فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة، فاستوعبت أهل البلد لقاء، وأخذت عن بعضهم عرضاً وإلقاء، سواء المقيم القاطن والوارد والظاعن.⁴¹

كما دخل تلمسان تاجراً الفقيه أبو موسى عمران بن موسى المشدالي البجائي [670-745هـ]، فقدمه الفقيه أبي زيد بن الإمام إلى السلطان أبي تاشفين الذي رفع عنه وعن أصحابه المكوس والمغارم التي كانت تفرض على الداخلين لمملكته، لما أدرك قدره ومنزلته العلمية.⁴²

أما ببجاية فكان الفقيه أبو محمد عبد الله الشريف يختص في تجارة الصوف بسوق الصوافين ببجاية، ويحضى باحترام وتقدير التجار لعلمه ودينه ونسبه.⁴³

ز/ طرق تحصيل الربح في التجارة ونوع البضاعة المربحة

ا/ طرق تحصيل الربح في التجارة: يحصل التاجر على الربح في تجارته بثلاث طرق⁴⁴

الطريق الأول: بأن يحتزن السلعة ويتبين بها حوالة الأسواق من الرخص إلى الغلاء فيعظم ربحه

الطريق الثاني: أن ينقل بضاعته إلى بلد آخر تُنقُ فيه تلك السلعة أكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه

الطريق الثالث: يبيع بضاعته بالغلاء على الآجال

ا/ نوع البضاعة الجالبة للربح⁴⁵:

1/ البضاعة التي يحتاجها كل أصناف الناس: فالتاجر البصير لا ينقل من السلع إلا ما تعم الحاجة إليه من الغني والفقير والسلطان، إذ في ذلك نفاق سلعته، أما إذا اختص نقله بالبضاعة التي يحتاج إليها البعض فقط، فقد يتعذر نفاق سلعته، فتكسد سوقه وتفسد أرباحه.⁴⁶

2/ البضاعة الوسط بين الرديئة والجيدة: نقل البضاعة المحتاج إليها، فإنما ينقل الوسط من صنفها، فإن الغالي من كل صنف من السلع يختص به أهل الثروة وحاشية الدولة وهم الأقل، ويكون الناس أسوة في الحاجة إلى الوسط من كل صنف، فليتحجر التاجر ذلك ففيه نفاق سلعته أو كسادها.⁴⁷

3/ البضاعة البعيدة المسافة شديدة الخطر في الطرقات: هذا النوع من البضاعة تكون أكثر فائدة للتجار وأعظم أرباحاً، وأكفل بحوالة الأسواق، لأن السلعة المنقولة حينئذ، تكون قليلة مُعوزة لبعد مكانها أو شدة الغرر في طريقها، فيقل حاملوها ويعز وجودها

41- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة (ج1/ 208)

42- مسعود بريكة: الفضاء الثقافي البجائي، ج1، ص163، أنظر ترجمته في التنسي: نظم الدرر والعقبان في بيان شرف بني زيان، ص142

43- الغبريني: عنوان الدراية، ص91

44- ابن خلدون: المقدمة، ص494، 495

45- المصدر نفسه، ص497

46- المصدر نفسه، ص496-497

47- المصدر نفسه، ص497

فعلت أثمانها، ولهذا تجدد التجار الولعون بدخول بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالاً، لبعدهم طريقهم ومشقته، واعتراض المفازة الصعبة المحطرة بالخوف والعطش⁴⁸.

4/البضاعة القليلة العرض كثيرة الطلب: كأن تكون السلعة المنقولة قليلة العرض في الأسواق إما لبعدها مكانها أو لشدة الغرر، فتجد سلع بلاد السودان قليلة لدينا، فتختص بالغاء، وكذلك سلعنا لديهم، فتعظم بضائع التجار من تناقلها ويُسرِع إليهم الغنى والثروة من أجل ذلك، وكذلك المسافرون من بلادنا إلى المشرق لبعدهم الشقة أيضاً⁴⁹.

ح/الممارسات التجارية الفاسدة:

1/الاحتكار: قال ابن خلدون: الاحتكار لتحسين أوقات الغلاء مشؤم، وأنه يعود على فائدته بالتلف والخسران، ولهذا اعتبره الشارع أخذ الأموال الناس بالباطل⁵⁰، فلا بد للتاجر الأمين أن يتعد عن ممارسته في تجارته، وذلك للأضرار التي يسببها فهو يؤدي إلى:

— تقليل الكمية المعروضة من السلع في السوق أو انعدامها، وبالتالي يفتردها من يجاتها

— الارتفاع الشديد في سعر السلعة مما يؤدي إلى التضخم وإحراق الظلم والضرر بمن تمكن من شرائها

— إهدار حرية التجارة والصناعة، وتقل روح المنافسة التي تؤدي إلى الاتقان

— ضعف الحافز لدى المخترعين على التجديد والابتكار، لعدم وجود المنافسة

— حصول طبقة المخترعين على الأرباح الطائلة، وتتكون بهم مراكز ثقيلة داخل الدولة

— تهيئة المناخ لظهور السوق السوداء

— إتلاف الكثير من المنتجات وتبديدها حتى يقل عرضها ويرتفع سعرها⁵¹.

11/ الغش: وردت في الشرع نصوص تدم الخائن في تجارته، منها حديث إسماعيل بن عبيد بن رفاعه، عن أبيه، عن جدّه أنّه خرّج مع النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمِصْلَى، فَرَأَى النَّاسَ يَتَبَايَعُونَ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ»، فَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا، إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ، وَبَرَ، وَصَدَّقَ»⁵²، قال ابن الأثير سماهم فجاراً لما في البيع والشراء من الأيمان الكاذبة والغبن والتدليس والربا الذي لا يتحاشاه أكثرهم⁵³، ويتفاوت في ذلك أصناف التجار، فمنهم سافل الطور المخالف لأشعار الباعة أهل الغش والخلافة والحديعة والفجور في الأيمان⁵⁴، والغش نوعاً من الخيانة وهو يشكل خطراً على المجتمع لأنه يحطم الثقة⁵⁵، فلا بد للتاجر الصدوق الأمين من إظهار عيوب بضاعته وعدم إخفائها،

48- ابن خلدون: المقدمة، ص 496-497

49- المصدر نفسه، ص 497

50- ابن خلدون: المقدمة، ص 497-498

51- يبلى إبراهيم أحمد العليمي: العناية بالتجارة في الاقتصاد الإسلامي، التركي للكمبيوتر والطباعة، طنطا، ط1، 2007م، ج2 ص 837-840

52- الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك (279هـ): سنن الترمذي، تح: محمد فؤاد عبد الباقي شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي -

مصر، ط2، 1395 هـ / 1975 م، (ج3 / 507)

53- ابن منظور: لسان العرب (ج4 / 89)

54- ابن خلدون: المقدمة، ص 500

55- عباس حسن الحسيني: دستور المهنة في الإسلام، ص 444

وضابط الغش المحرم أن يعلم ذو السلعة من بائع ومشتري فيها شيئاً، لو اضطلع عليه من يريد أخذها لم يأخذها بذلك المقابل⁵⁶، ومن مهام المحتسب أن يعمل على كشف بالغش بكل الوسائل الممكنة، ويختلف ذلك حسب نوع السلعة، وذلك حتى لا يلجأ بعض البائعين إلى الخيانة وإخفاء عيوب سلعتهم⁵⁷.

ومن أنواع الغش أيضاً التطفيف في الميزان، وقد توعد الشارع الحكيم المطففين في الميزان فقال: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزِنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3)}⁵⁸، كما أمر بإيفاء الكيل عند البيع والشراء والوزن بالقسط فقال: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (35)}⁵⁹، ويعد التطفيف في الميزان أحد أنواع الغش الذي نهي الشرع عنه⁶⁰، وقد حارب الإسلام كل أنواع أساليب الغش في الميزان، وذلك باتخاذ إجراءات عملية لمراقبة الموازين ومنها:

— تحديد مواصفات الميزان الصحيح والعدل والبرئ من الغش، قال الماوردي: أصح الموازين وضعاً ما استوى جانباه واعتدلت كفتاه وكان ثقب علاقه في وسط العمود⁶¹.

— مراقبة نوعية المادة التي تصنع منها أرتال وأواقي الوزن، بأن تكون مادة ثابتة لا تنقص ولا تتآكل بقرع بعضها بعضاً، يقول الشيتري: وينبغي للبائع أن يتخذ الأرتال والأواقي من الحديد وتعبير على الصنج الطيارة (السنج المحفوظة عند المحتسب لتعبير عليها الصنج الأخرى)، ولا يتخذها من الحجارة⁶².

— منع البائعين من اتخاذ الموازين والأرتال والدرهم القريبة من بعضها في الميزان كثلث رطل وثلث أوقية وثلث درهم، لمقارنته لنصف رطل ونصف أوقية، واحتمال الوزن به عند كثرة المشترين⁶³.

— مراقبة الباعة في اتباع طريقة الوزن الصحيحة والعدالة البعيدة عن الغش، قال الماوردي: وينبغي إذا شرع في الوزن أن يسكن الميزان ويضع فيه البضاعة من يده في الكفة قليلاً قليلاً، ولا يهزم الكفة بإهمامه، فإن ذلك كله بخس، وينبغي أن تكون موازين الباعة معلقة، ولا يمكن المحتسب أحد من الباعة أن يزن بميزان الأرتال في يده⁶⁴.

ثانياً/التجارة الخارجية:

أ/محفزات التجارة الخارجية

أ/نظرة الإسلام الإيجابية للتجارة: فقد شجع الإسلام على العمل والكسب بكل أشكاله، وخاصة ممارسة التجارة إذا كانت وفق الشروط الشرعية مما أحل الله تعالى، وقد وردت في ذلك نصوص كثيرة نذكر منها قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ

56- يبلى إبراهيم أحمد العليمي: العناية بالتجارة في الاقتصاد الإسلامي، ج2، ص 693

57- المرجع نفسه، ج2، ص 744

58- [المطففين: 1 - 3]

59- [الإسراء: 35]

60- يبلى إبراهيم أحمد العليمي: العناية بالتجارة في الاقتصاد الإسلامي، ج2، ص 440

61- يبلى إبراهيم أحمد العليمي: العناية بالتجارة في الاقتصاد الإسلامي، المرجع نفسه، ج2، ص 703

62- يبلى إبراهيم أحمد العليمي: العناية بالتجارة في الاقتصاد الإسلامي، المرجع نفسه، ج2، ص 704

63- يبلى إبراهيم أحمد العليمي: العناية بالتجارة في الاقتصاد الإسلامي، المرجع نفسه، ج2، ص 705

64- يبلى إبراهيم أحمد العليمي: العناية بالتجارة في الاقتصاد الإسلامي، المرجع نفسه، ج2، ص 705-706

بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِجَارَةٍ عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ⁶⁵، والدول الإسلامية في المغرب الأوسط وغيره كانت لها نظرة إيجابية للتجارة انطلاقاً من خلفيتها الدينية.

11/تشجيع الدولة ومساهمتها في ممارسة التجارة: فقد شجعت الدولة الإسلامية ممارسة التجارة، بل هناك أمراء وسلاطين مسلمين مارسوا التجارة على نطاق واسع، فالأئمة الرستميون ساهموا في تشجيع التجارة من خلال نشر العدل وإقامة المحتسبين، ولم يعملوا على سن قوانين تعيق وتحد من تطور التجارة، وكذلك الفاطميين الذين عينوا للإشراف عليها المحتسبين، كما عملوا على نشر الأمن وتنظيم التجارة وقنونها، وكذلك الدول التي أتت بعدهم⁶⁶.

111/موقع بلاد المغرب الأوسط الاستراتيجي: فهي تشكل بموقعها في الوسط حلقة وصل بين مختلف أجزاء بلاد المغرب، فهي تربط بين ولاية إفريقية وماراءها بالمغرب الأقصى وما وراءه، كما أنها تربط بلاد السودان بأطرافها، مما جعلها تشكل جسراً ومعبراً تجارياً، كما أهلها موقعها لتكون طريقاً تمر عبره التجارة الدولية، إلى شمال إفريقيا والأندلس وأوربا⁶⁷.

1111/سهولة المواصلات : فالطرق التجارية التي تربط المغرب الأوسط بما يجاورها، كانت تخترق منطقة السهول من الشرق إلى الغرب، من دون عائق طبيعية تذكر، ونفس الشيء بالنسبة إلى الطريق الذي يخترق المنطقة من الشمال إلى الجنوب⁶⁸.

11111/توفر الأمن: وذلك منذ أن توقفت الحروب في المغرب الأوسط بداية من منتصف القرن الثاني الهجري، وحلت محلها حسن الحوار والمصلحة المتبادلة بين الدولة الرستمية وجيرانها، فشهدت البلاد الإسلامية بصفة عامة ازدهاراً اقتصادياً شاملاً، وانتعشت الطرق التجارية الدولية، كما استمر السلم طيلة القرنين الثالث والرابع الهجريين، أما حروب الفاطميين فكانت مجرد نزاع عن السيادة وتضارب المصالح، ولم تؤثر سلباً في الحياة الاقتصادية، وذلك لحرص الفاطميين على انتعاش التجارة لأنهم كانوا في أمس الحاجة إلى ذهب السودان وعبيده، قال القاضي النعمان: إن التجار يسافرون بالأموال الصامته والنعم الظاهرة يمر بها الواحد والاثنان في الجبال والشعاري بالخلوات والبراري فيبيت حيث أمسى ويسير حيث أحب واشتهى، كأنما هو في سوقه يبيت آمناً ويصبح سالماً، أما ابن حوقل فقد جاب بلاد المغرب كلها شرقاً وغرباً تاجراً، ولم تعترضه أية عقبة.

وبعد السيطرة الإسلامية على حوض البحر الأبيض المتوسط انقطعت به القرصنة، وكان لذلك انعكاس إيجابي على التجارة الخارجية، فاطمأن التجار على تجارتهم لا يخافون ظلماً ولا عدواناً⁶⁹.

وقام المهدي السنوسي بتقوية الصلات التجارية بين الزوايا وبين مراكز التجارة والأسواق المختلفة، ونتج عن ذلك استتباب الأمن في هذه الربوع وانتشار الطمأنينة، فقد زاد نشاط القوافل وأقدم المسافرون والتجار على قطع الفيافي والصحارى من غير تردد، فظهرت بوادر العمران في الطرق الصحراوية وأصبح من الميسور على دعاة الحركة أن يصحبوا هذه القوافل وهؤلاء المسافرين والتجار في رحلاتهم وأسفارهم ويدعون إلى الاسلام، ويقضون على الوثنية، ويعطلون بذلك أعمال التنصير الذي تدعمه الدول الأوروبية في

65- [النساء: 29]

66- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص 193-194

67- المرجع نفسه، ص 194

68- المرجع نفسه، ص 194

69- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص 195_196

إفريقيا، وبالفعل حققت الحركة انتشاراً عظيماً في أوساط أفريقيا مثل بلاد النيجر، والكنغو، والكامرون، وجهات بحيرة تشاد، وذاع خبر الحركة السنوسية في إفريقيا من خلال طريق واداي وبرنو وكانم واداموا والداهومي وغيرها⁷⁰.

وقد زاد تبعاً لذلك عدد سكان الكفرة وانتعشت حياة الأهالي وعم الرخاء، واهتم بحفر الآبار المتتابعة، على طول خطوط القوافل، فكان يرسل البعثات لإتمام ذلك، وأصبحت الكفرة ملتقى القوافل مابين السودان الغربي (تشاد) والسودان الشرقي وسواحل برقة⁷¹.

|||||/الرخاء الاقتصادي: لقد تمتعت معظم مدن المغرب الأوسط بالرفاهية والرخاء الاقتصادي مثل مدينة تيهرت وتنس تلمسان وغيرها، فهذا الرخاء الشامل يعتبر عاملاً مساعداً في ازدهار التجارة، فهؤلاء المترفين وأصحاب القصور يتطلعون إلى كل نادر وحديد في تزيين قصورهم من تحف وأثاث، فيكثر الطلب على الكماليات المستوردة من الخارج غالباً، قال ابن الصغير عن سكان تيهرت: أتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار، ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم، لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله⁷².

|||||/المعاهدات التجارية

كانت التجارة مع إسبانيا وبقية بلدان أوربا محكومة بمعاهدات تحدد أشكالها، وتنظم إقامة الأفراد وفقاً لهذه المعاهدات، حيث كانت مملكة أراغون بموجبها تشترط لنفسها نسبة من الرسوم الجمركية التي يدفعها تجارها، وتشرف على المحور التجاري برشلونة ميروقة تلمسان سجلماسة، وهو أحد أهم طرق ممرات ذهب السودان، وكان التصدير خاضعاً للإشراف المتمثل في تعيين حصص بعض المنتجات الحيوية كالحبوب، بالإضافة إلى أوامر تحظر تصدير المواد الاستراتيجية كالأسلحة والحديد والخشب، وبموجب هذه المعاهدات امتلك سكان شبه جزيرة إيبرية في كل الموانئ المغربية الكبرى كتلمسان وبجاية، سلسلة كاملة من الفنادق، كانت مزودة بكنيسة صغيرة وتحتوي على فرن ومطعم بالإضافة إلى المخازن ومراكز التجارة، تخضع في تسييرها لإشراف قناصل يمثلون أهل ملتهم أمام السلطات المحلية، وكان الإيبيريون يصدرون للمغرب المعادن والخشب والمصنوعات المعدنية البسيطة، والتوابل المشتراة من الشرق، ومواد الصباغة والنبيد والورق، والمنسوجات المتنوعة، بينما كانوا يستوردون الأصواف والجلود والشمع-من بجاية خصوصاً-، والتمر والسجاد ومنتجات حرفية أخرى⁷³.

ب/عراقيل التجارة الخارجية

1/قطاع الطرق: قال ابن الصباح عن مملكة تلمسان الزيانية: ملك بني عبد الوادي ملك مبارك، لكن هو كثير المصايب من أجل تبديل ملوكها يذيق بعضهم بأس بعض، وتضعف من ذلك المملكة والحكم، ويكون فيها قطع الطريق وتنحصر الناس عن الأسفار، ويضيق عليهم الحال...وكذلك جميع هذا البر العدوي المذكور كثير الحرميات والقطاع في جميع الأقطار...بر متصل مثل المحيط

70- الحركة السنوسية (2/ 20)

71- الحركة السنوسية (2/ 57)

72- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص 197-198

73- م طالبي: إشعاع الحضارة المغربية وتأثيرها على الحضارة الغربية، الفصل 3، تاريخ إفريقيا العام المجلد الرابع من القرن 12 إلى القرن 16م، ص 76

بعد المسافات وقليل الماء وكله صحراء من آسفي بني مكر إلى فاس إلى تلمسان إلى بجاية إلى تونس إلى طرابلس إلى برقة إلى إسكندرية مسيرة خمسة أشهر كلها خلوات وخوف وعطش ورمال وفيافي منقطعة مسافرها بين الحجاج والتجار...، ونفس الشيء يقال عن الصحراء الليبية: في منطقة الجغبوب كانت (واحة ملححة يأوى إليها الدعار واللصوص ولا تجسر القوافل أن تمر بها من جراء العبث في أنحائها. فلما اختارها (السيد السنوسي) مقراً له وبني بها زاويته الكبرى صارت مهد أمان ومركز عبادة، ومشرق أنوار ومعلم هداية . فغرس بها الأشجار ونسق الجنان واستنبط العيون وتوسع في البناء، وأسس مدرسة لتخريج مريدي الطريقة أجلس للتدريس فيها جلة العلماء)⁷⁴.

11/قلة رؤوس الأموال: لا يمكن أن يقوم بممارسة التجارة الخارجية إلا كبار الأثرياء والتجار، لأن إعداد قافلة تجارية يحتاج إلى أموال كثيرة، قال ابن خلدون: لهذا تجدد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالاً، فيزداد ربحهم ويكثر غناهم، وهم قلة بالمقارنة مع غيرهم من أصحاب الحرف الأخرى، ولما كانت الطرق صعبة والمسالك طويلة احتاجوا إلى مساعدة غيرهم، وقد أشار ابن الصغير إلى حلول أهل العراق من بصريين وكوفيين وبغداديين بتيهرت وسجلماسة، وهو ما يفسر عجز تجار المغرب الإسلامي عن سد حاجة المشرق إلى سلع بلاد السودان بسبب قلتهم وقلة رؤوس أموالهم، فاحتاجوا لمن يشاركهم تجارتهم⁷⁵

111/المنافسة الأجنبية: ضعف الانتاج الاقتصادي هو ما تميزت به بلاد المغرب بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، ولذلك حصر ابن خلدون بضائع المغاربة في بعض المنتجات القليلة فقال: كصناعة الصوف من نسجه والجلد في فرزه ودبغه، فإنهم لما استحضروا بلغوا فيها المبالغ لعموم البلوى بها، وكون هذين أغلب السلع في قطرهم لما هم عليه من حال البدواة⁷⁶، ولهذا اقتصر دور تجار المغرب الأوسط على الوساطة فقط، كتنقل سلع البلدان الأخرى، وكانوا يواجهون منافسة شرسة من تجار الأندلس والمغرب الأقصى وإفريقية والمشرق⁷⁷، قال المقري: لأن بلاد الصحراء قبل أن يدخلها أهل مصر كانت تجلب لها من المغرب ما لا بال له من السلع فيعاوض عنه بما له بال من الثمن⁷⁸، فالصناعات المحلية المغربية كانت تجد منافسة من طرف الصناعة المشرقية، والتي هي في الغالب أرقى وأفخر بحكم التفوق الحضاري⁷⁹.

74- علي محمد محمد الصلابي: الحركة السنوسية في ليبيا، الإمام محمد بن علي السنوسي ومنهجه في التأسيس (التعليمي والحركي والتربوي والدعوي والسياسي)، (ج1/ 75- 76)

75- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص201

76- ابن خلدون: المقدمة، ص507

77- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص202

78- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص208

79- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص202

1/الطريق الشمالي الرابط بين المغرب الأقصى من مدينة آسفي إلى الإسكندرية

قال ابن الصباح: ... فالخوف والخلاء وبعد العمائر من بلاد بني مرين إلى آخر مصور طرابلس إلى برقة سكان بيوت الشعر إلى إسكندرية باب الشرق وباب الغرب... بر متصل مثل المحيط بعيد المسافات وقليل الماء وكله صحراء من آسفي بني ماكر إلى فاس إلى تلمسان إلى بجاية إلى تونس إلى طرابلس إلى برقة إلى إسكندرية مسيرة خمسة أشهر كلها خلوات وخوف وعطش ورمال وفيافي منقطعة مسافرها بين الحجاج والتجار⁸⁰

1/1/ فرع فاس تلمسان:

المسافة بين فاس وتلمسان تسع مراحل، والطريق بينهما يخرج من فاس إلى نهر سبو ستة أميال، ومنه إلى ثمانية مراحل (ويقال لها وادي إيناون)، ومنها إلى كرتنة مرحلة، ومنها إلى باب زناتة نحو عشرة أميال، ومنها إلى قلعة كرمطة مرحلة، ومنها إلى مزوار مرحلة، ومنها إلى وادي مسون مرحلة، والطريق عليه إلى تابريدا وهو حصن منيع مظل على وادي ملوية، ومنها إلى صاع مرحلة، ومنها إلى جراوة مرحلة، ومنها إلى ترنانة مرحلة، ومنها إلى العلويين مرحلة، ومنها إلى تلمسان مرحلة لطيفة، ومدينة تلمسان قبل بلاد المغرب، وهي على طريق الداخل فيه والخارج منه فلا بد له منها والاجتياز بها على كل حال⁸¹.

2/2/ فرع سجلماسة تلمسان:

من سجلماسة إلى ثرمي اثنا عشر ميلا إلى القبالة مرحلة إلى غيران تدغي مرحلة، إلى حصن المق مرحلة، إلى حصن مسكالل أربعة وعشرون ميلا، إلى جبل ملح مرحلة، إلى منزل قرسم مرحلة، إلى حصن وطاط مرحلة، إلى عين نفسرات مرحلة، إلى قرية غار الملح مرحلة، إلى أكر سيف مرحلة، إلى حصن صا مرحلة، إلى تامة عمار إلى السواقي مرحلة، إلى وجدة مرحلة، إلى حصن تالزارين مرحلة إلى مدينة تلمسان⁸².

3/3/ فرع تلمسان وهران: الطريق من تلمسان إلى وهران الساحلية مرحلتان كبيرتان، تخرج من تلمسان إلى وادي وارو مرحلة ومنها إلى قرية تانيت مرحلة ومنها إلى وهران⁸³، أو من تلمسان إلى ماوزرت ثم دسار الغار وبينهما قصر سنان، ثم إلى وهران على ساحل البحر⁸⁴.

4/4/ فرع تلمسان تنس: الطريق من تلمسان إلى مدينة التنس سبع مراحل، يخرج من تلمسان إلى قرية العلويين ومنها إلى قرية بابلوت مرحلة، ومنها إلى قرية سي على نهر مرغيت مرحلة، ومنها إلى رحل الصفصاف مرحلة، ومن الرحل إلى أفكان مرحلة، ومنها إلى المعسكر مرحلة، ومنها إلى جبل فرحان مارّا في أسفله إلى قرية عين الصفصاف مرحلة، ومنها إلى مدينة يلل مرحلة ثم إلى مدينة غزة، ومنها إلى سوق إبراهيم مرحلة، ومنها إلى بلدة التين مرحلة، ومنها إلى مدينة تنس مرحلة⁸⁵.

⁸⁰- ابن الصباح الحاج عبد الله: أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار (رحلة المدجن)، تح: محمد بن شريفة، دار أبي رقرق، ط1، 2008م، ص96_97

⁸¹- مقديش الصفاقسي: نزهة الأنظار، ج1، ص74-76

⁸²- الإدريسي: أنس المهج وروض الفرج، تح: الوائي نوحى، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المملكة المغربية، ط1، 2007م، ص194-195

⁸³- مقديش الصفاقسي: نزهة الأنظار، ج1، ص78

⁸⁴- الإدريسي: أنس المهج، ص196

⁸⁵- المصدر نفسه، ج1، ص77

5/ فرع تنس مليانة: يخرج من تنس إلى بني وازلفن مرحلة لطيفة في جبال وعرة وشواهد متصلة على نهر شلف، ومن تنس إلى شلف مرحلتان، ومن بني وازلفن إلى الخضراء مرحلة، ومنها إلى مليانة مرحلة⁸⁶.

6/ فرع تنس المسيلة: من مدينة تنس إلى قرية على نهر شلف إلى بني وازلفن إلى الخضراء إلى مليانة إلى كزناية على نهر شلف إلى ريغة إلى ماورغة إلى تامز كيدة إلى آشير، إلى الوادي المالح إلى منزل الكور إلى المسيلة⁸⁷.

7/ فرع تلمسان تاهرت: من تلمسان إلى تاهرت أربع مراحل، يخرج من تلمسان إلى تادرة مرحلة، ومنها إلى قرية نّداي مرحلة، ومنها إلى تاهرت مرحلتان⁸⁸.

8/ فرع مليانة المسيلة: من مليانة إلى كزناية مرحلة ومنها إلى قرية ريغة مرحلة، ومنها إلى ماورغة مرحلة، ومنها إلى مدينة نقاوس مرحلتان ومنها إلى المسيلة أربع مراحل، ومن نقاوس إلى حصن بسكرة مرحلتان ومنها إلى حصن ماوس في أسفل جبل أوراس ثلاث مراحل ومنه إلى المسيلة أربعة أميال⁸⁹.

9/ فرع تاهرت المسيلة: من تاهرت إلى قرية أعبر مرحلة، ومنها إلى قرية دارست مرحلة ومنها إلى مدينة ماما مرحلتان، ومنها إلى قرية ابن مخبر مرحلة، ومنها إلى آشير زيري مرحلة، ومنها إلى قرية سطيت مرحلة، ومنها إلى قرية هاز مرحلة، ومنها إلى المسيلة مرحلة⁹⁰.

10/ الطريق من تاهرت إلى القيروان: يستغرق هذا الطريق مسافة ثلاثين يوماً على الإبل، وذكر الاصطخري بينهما ست وثلاثون مرحلة، وجعلها البكري تسع عشرة مرحلة، وذكر اليعقوبي أن الخارج من القيروان إلى تاهرت يمر على سببية ثم مجانة ثم مسكيانة ثم باغية وبها يتفرع الطريق فرعين:

— الفرع الأول: من باغية إلى تيجس ثم قسنطينة ثم ميلة ومنها إلى جيجل وطريق آخر إلى سطيف

— الفرع الثاني: من باغية إلى دوفانة ثم بلزمة ثم سطيف، وطريق آخر إلى نقاوس ثم طبنة ثم مقرة ثم أربة ثم حياض بني برزال أو مسيلة ومنها إلى هاز ثم حصن مصادف بن جرتيل ثم سوق كرام إلى تيهرت⁹¹.

11/ الطريق من مليانة إلى بجاية: ينطلق من مليانة إلى المدية إلى حصن الوزرفة إلى حصن سائلال، إلى حصن تايست إلى قصبه برغواط في جبل جرجرة إلى حصن بكر ثم إلى تكالات ثم إلى بجاية⁹².

12/ الطريق من بجاية إلى قسنطينة: المسافة من بجاية إلى قسنطينة مائة وعشرون ميلاً، من بجاية إلى المنصورية خمسة وعشرون ميلاً إلى جيجل خمسة وعشرون ميلاً، إلى سوق بني زندوي خمسة وعشرون ميلاً، إلى جبل سحاو خمسة وعشرون ميلاً، إلى قسنطينة عشرون ميلاً⁹³.

86-مقديش الصفاقسي: نزهة الأنظار، ص 80

87-المصدر نفسه، ص 197

88-مقديش الصفاقسي: نزهة الأنظار، ج 1، ص 86-87

89-مقديش الصفاقسي: نزهة الأنظار، ص 81

90-مقديش الصفاقسي: نزهة الأنظار، ج 1، ص 87

91-جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعي في المغرب الأوسط، ص 203

92-الإدريسي: أنس المهج، ص 197

93-الإدريسي: أنس المهج، ص 198

13/ الطريق من قسنطينة إلى توزر إلى القيروان: من قسنطينة إلى باغاي ثلاث مراحل إلى طينة الزاب أربع مراحل ومن باغاي إلى توزر قسطنطينية أربع مراحل⁹⁴، وبين توزر والحامة مرحلة خفيفة، وكذلك من الحامة إلى تقيوس مرحلة خفيفة، ومنها إلى قفصة يوم، ومنها إلى القيروان أربع مراحل⁹⁵

11/ الطريق الصحراوي مراكش صحراء فزان إلى نهر النيل:

1/ الطريق من مراكش إلى توات: يتضح هذا الطريق من خلال رحلة ابن مليح السراج، حيث ذكر الانطلاق من مراكش⁹⁶، وذكر خروج الراكب إلى آغمات وريكة⁹⁷ والتوجه إلى تبكتو بوسط قبيلة حرييل⁹⁸، ثم حل الراكب بتاكنة ثم لافسفاًس بين الجبال في وعر، ثم لأسفل جبل بثنية الوحل، ثم نزول المحلة بقصبة الجلاوي ثم بتاسيوت وهو موضع ليس فيه للراكب قوت، أهله بلداء الطبع مشهورين بالنهب والقطع، ثم لقصبة الشيخ على الزيني⁹⁹، ثم لبلاد وارزات ثم لتفرنين منزل بين جبلين لا عمارة فيه ثم بلاد درعة محل سكنون ودعة مأمونا من المخاوف في المال والرقاب وسكانه رفاق القلوب... فأول منزلة منه مزكيطة ثم تابرنوست ثم زاوية سيدي موسى¹⁰⁰، ثم قصبة السلطان تينزولين ثم تن آردن زاوية المرابط ثم لموضع يعرف باستور على الوادي ثم لموضع يعرف بتحمدارت ثم لزاوية المرابطين ثم لبني علي بإزاء زاوية المرابط سيدي عبد العالي فركب بغلته مع نفر من أهل تاجمروت فسلكوا بالراكب في وعر بين جبلين يقال له خنك اللكتاوة حرصاً عليه واتقاء أن يصيبه مكروه من طائفة من اللصوص تجتمع فيه غالباً، إلى أن قطعوا الوعر فحلوا ببني حيون بلكتاوة، فأقام المركب هناك ثمانية أيام لانتظار رسول الملك ثم لبني مسنان، فمن ثم تأهب الراكب للمسير وشدو النزر لقطع الصحاري وركوب البعير... ثم لموضع يعرف بالمنكوب شعب كثير الآبار... ثم لموضع بعل لا ماء فيه ولا نخل، ثم لمورد يقال له زكد غدیر تحت عصف في أرض مرتفعة عذب مأؤه حلو، ثم بعده مرحلتين صحراء ثم مورد يقال له الحمير ويعرف بالدورة ينحدر إليه ماء وادي تافالنت... ثم لبئر يعرف بأبي العظام بإزاء شعبة عمقها في الأرض بعيد المرام... ثم مرحلتان صحراء لا ماء بها، ثم لبلاد تابلبات وهما مدشران كثيرا المرعى والخصب والماء... ثم مرحلة صحراء ثم مرحلة ذات مورد عذب وماء زلال... ثم منزل بعده صحراء ثم لمورد يعرف بعكلة محمد كثير المياه ثم مرحلتان صحراوان تاه في آخرهما الراكب... فنزل الراكب على بئر يعرف بالمعيتك... ثم منزل بعده بعل ثم بعده مورد يعرف بالسيفر فيه نحو ثلاث آبار... ثم لمنزل صحراء، ثم نزلنا لبلاد توات بمدشر يعرف ببني أركان بلد طيبة كثيرة الزرع¹⁰¹ والثمار ذات عيون جارية وأنهار... فأقام بها الراكب سبعة عشر يوماً في نعمة شاملة.

2/ الطريق من توات إلى صحراء فزان:

قال ابن مليح: ثم نزلنا لبلاد توات بمدشر يعرف ببني أركان بلد طيبة كثيرة الزرع¹⁰² والثمار ذات عيون جارية وأنهار... فأقام بها الراكب سبعة عشر يوماً في نعمة شاملة... ويبيع وشراء وأخذ وعطاء، والتقينا بها مع القائد علي بن عبد القادر الشرقي باشة السودان

94- الإدريسي: أنس المهج، ص 199

95- الإدريسي: أنس المهج، ص 203-204

96- ابن مليح السراج أبو عبد الله محمد بن أحمد [بعد 1042هـ/1633م]: أنس الساري والسارب، تح: محمد الفاسي، فاس، 1388هـ/1968م، ص 2

97- ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص 13

98- ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص 25

99- ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص 26

100- ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص 26

101- ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص 28

102- ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص 28

قد عزم على الصعود مع الركب للحجاز ويسلك معه الطريق المجاز وكان معه الفقيه أحمد بابا السوداني... صحبوا الركب¹⁰³، ثم انتقلنا لمدشر الدعامشة من البلد المذكور، ثم انتقلنا لبلاد كسطن وهو مدشر منحرف عن الطريق الجادة قصدناهم لرغبتهم في التوجه معنا إلى الحج، ثم مرحلة بعل بين هذا المدشر وبين مدشر واوكروت آخر بلاد توات من تلك الناحية، أقمنا به يوماً للتهيء لدخول الصحراء المعروفة ب: أزكر¹⁰⁴ الذي هو خمسون يوماً بإقامتها وضعائها، أولها ستة أيام صحراء يابسة غبراء فيها ست مراحل ثم واد يعرف بالفلساس كثير الشجر فيه بئر واحدة وحفر أهل الركب بئر أخرى أقمنا فيها يوماً لرعي الجمال، ثم سبع مراحل كبار لا ترى فيها إلا العيس والغبار، ثم في اليوم الثامن عرضت لنا ثنية ارتفعت في الجو عالية أهدرنا فيها قرب العشاء لعوينات نابعات مشهورات بعوينات الحجاج، ثم ثلاث مراحل صحراء غبراء ثم في اليوم الرابع واد يعرف بواد-ارسم الليل- وفيه آبار وكلاً وكثرة أشجار، ثم ثلاث مراحل صحراء، وفي اليوم الرابع مورد يعرف بالعيوج فيه بئر غامقة جدا قليلة الماء أقمنا عليها ثلاث أيام في جهره وسقي مائه، ثم ثلاث مراحل صحراء غبراء، ثم مورد يقال له البيض عكلة كثيرة الماء والأشجار... ثم ثلاث مراحل صحراء وفي الرابعة مورد يعرف ببئر سيدي موسى بن معرف صاحب ركب فاس، ثم أربع مراحل صحراء وفي الخامسة مورد يقال له واد جان تحت جرف مرتفع كثير الماء¹⁰⁵... وجدنا فيه بعض العرب من التوارك تعاطينا معهم البيع والشراء، ثم أربع مراحل صحراء، وفي الخامسة نزلنا على مورد يقال له واد تاخالت قريب الماء جدا ذي أشجار كثيرة... ثم يوم واحد صحراء والثاني مورد بئر يقال له الغريان، ثم مرحلتان صحراء، والثالثة مورد يعرف بسرلدس فيه آبار كثيرة المياه، ثم خمس مراحل صحراء وفي وسطها غابة الطلح هناك التقينا مع الركب المغربي مع سيدي محمد الحفيان، وفي اليوم السادس وصلنا بلاد فزان¹⁰⁶.

3/ الطريق من صحراء فزان إلى نهر النيل:

قال ابن مليح: وفي اليوم السادس وصلنا بلاد فزان وقد انتفضت الجراب وعجزت الركاب وماتت الرواحل لبعث المراحل، وقد اشرف الناس فيها المهالك، فأول منزل نزل الركب قصر آبار... وأقبل الخبر من كل مكان وذلك أول منزل من بلاد فزان، فاتصل الخبر بأمرها... فأقام به الركب يوماً ثم انتقل بعده لقصر يقال له جرمة أهله جياد وأيامه أعياد،... ثم انتقل لقصر بريك على مقربة من قصبه الملك، ثم بعده لقصر دجان قريب من دار السلطان ثم بعده مرحلة كثيرة الخصب والسعة السهب إلا أنها صحراء لا ماء بها¹⁰⁷، ثم لقصبه السلطان محمد بن جهيل... وهي المعروفة بمركز ما أحسن سيرته في رعيته... تأهب للقاء الحجاج... خارج الأجنة حيث يلتقي الزائر والمزور فترجل عن فرسه... ثم أمر بمناد ينادي آلا من ضيع لمغربي خروبة قطعت يده، ومن ضيع له مثقالاً قطع رأسه، وأن الأسعار هي كذا وكذا ومن زاد أو استزاد فلا يلومن إلا نفسه، فأقام عنده خمسة عشر يوماً في عيش رغد وبيع وشراء وأخذ وعطاء وأضافهم ثلاث أيام بلياليها... وأهدى له أهل الركب حللاً فاخرة من ملابس الملوك فقر بذلك عينا وحمد وشكر، فكانت الإقامة تلك الأيام لا تنتظر ما يرد من الإبل والعدة فجاء المولى الكريم بقافلة من طرابلس قضيت منها الأرب¹⁰⁸، ثم ارتحل بعد ذلك الركاب فاتفق حينئذ الرأي أن حل بقصر ززي ثم نزلنا بقصر تراغن¹⁰⁹، ثم لزوية حميدة، أقمنا بها يوماً وصحبنا منها رجال

¹⁰³ - ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص 29

¹⁰⁴ - ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص 30

¹⁰⁵ - ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص 31

¹⁰⁶ - ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص 32

¹⁰⁷ - ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص 32

¹⁰⁸ - ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص 33

¹⁰⁹ - ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص 34

فضلاء ثم لزويلة... ثم مرحلة بعدها صحراء ثم لمورد يقال له أبو اللفاح غابة من شجر وفيه آبار قصار قريبة الماء ثم لقصر تمسة وهو أعلى قصور فزان وآخرها، كثيرة الماء والعيون، ثم من بعده ثلاث مراحل صحراء ثم المرحلة الرابعة مدشر يقال له بلاد الفقهاء ثم ثلاث مراحل صحراء ثم المرحلة الرابعة مدشر زلة صغير، ثم مرحلتان صحراء ثم الثالثة مورد يقال له نائم ثم مرحلتان صحراء ثم مورد يسمى جبلة ثم مرحلتان صحراء ثم نزلنا بلاد وجلة¹¹⁰... يجلب لها من الجبل الأخضر من برقة تأتي القوافل منها¹¹¹ كانت الإقامة بها سبعة أيام... ثم ارتحل الركب لمنهل قريب يعرف بجراجر به آبار، ثم لمنهل يعرف بقطيمير، ثم خمس مراحل صحراء، ثم مورد الطرفاوي، ثم مورد يعرف ببعلاوة ثم لمورد صحراء يعرف بالجريدة ثم لمورد يعرف بالكيبك، ثم لمورد بشياطو، ثم مرحلة صحراء وسهب بين جبلين¹¹²، ثم نزلنا لبلاد سيوة كثيرة المياه بها فوكه كثيرة أقمنا بها ثلاثة أيام، ثم لموضع يقال له المرزك، ثم لمدشر أم الصغير ثم ثلاث مراحل صحراء وفي اليوم الرابع دخلنا أرضا يقال لها بحر ثمود¹¹³، ثم لموضع به آبار يسمى الشكة، ثم مورد أبي الغراتق به ماء ثم سار الركب ثلاث مراحل وفي الرابعة مورد يقال له المغرة حولها آبار عذبة يجلب منها السمار إلى البلاد المصرية أربعة أيام وبحر النيل، منها ثلاث مراحل صحراء وفي الرابعة بلدة صغيرة يقال لها منشأة على بركة من ماء عظيمة يفيظ فيها النيل، فأقمنا بها ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع رحنا على النيل¹¹⁴.

ثانيا/ الطرق البحرية:

1/ المرسى الكبير بوهران إلى ألمرية: على ميلين من وهران المرسى الكبير، وبه ترسي المراكب الكبار والسفن السفرية، ومدينة وهران تقابل مدينة ألمرية من ساحل بر الأندلس وسعة البحر بينهما مجريان، ومنها أكثر ميرة أهل الأندلس، وشرب أهلها من وادي يجري إليها من البر وعليه بساتين وجنات وبه فواكه ممكنة، وأهلها في خصب والعسل بها موجود وكذلك السمن والزبد والغنم والبقر بها رخيصة، ومراكب الأندلس إليها مختلفة¹¹⁵.

2/ تنس تونس: تأتي أهمية الطريق التجاري تاهرت تنس لكونه يربط تاهرت بالقيروان بطريق بحري، فكان المسافر يخرج من القيروان إلى تونس، ومنها تسير المراكب إلى مدينة تنس، وبينهما مسيرة عشرة أيام، تعرج على عدة موانئ، ذكر منها اليعقوبي مرسى جيحل وقلعة خطاب ومرسى سكيكدة ومابر ودنحاجة، وأضاف المقدسي مرسى طبرقة ومرسى الدجاج ثم جزائر بني مزغناي، ومنها إلى مرسى تامدقوست ثم إلى شرشال ثم إلى إلى برشك، ومنها إلى تنس¹¹⁶.

وذكر اليعقوبي لمدينة ميلة مرسى يقال له جيحل ومرسى قلعة خطاب ومرسى سكيكدة ومرسى مابر ومرسى دنحاجة، ويذكر الحصن الذي على ساحل البحر الأعظم ترسي به مراكب تاهرت يقال له مرسى فروخ، وذكر البكري مدينة تلمسان ترتبط بمرسى وهران ومرسى آرشكول وتافرجتيت وترنانا¹¹⁷.

د/ وسائل المواصلات

¹¹⁰ - ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص35

¹¹¹ - ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص36

¹¹² - ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص36

¹¹³ - ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص37

¹¹⁴ - ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص40-41

¹¹⁵ - مقديس الصفاقسي: نزهة الأنظار، ص78

¹¹⁶ - جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، ص205

¹¹⁷ - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص206

أ/الوسائل البرية: يعتبر الجمال والحصان الوصيلتان الأساسيتان للتنقل في البر، أما الجمال فيكثر استعماله خاصة في طريق الصحراء، وذلك لخصائصه المتعددة وخاصة الرواحل منها، قال ابن مليح: ثم تأهب الركب للمسير وشدو الأزر لقطع الصحاري وركوب البعير¹¹⁸، كما ذكر الإدريسي أنه كان للتاجر الواحد: المائة جمل والسبعون والثمانون جملا كلها موقرة، كما أن للحصان أيضا شأن في عبور المسافات الطويلة، لكونه يتميز بالسرعة والخفة، إلا أنه كان قليل تحمل مشاق الصحراء، وقد تبت استخدامه في طرق بلاد السودان¹¹⁹، كما تم استخدام أنواع أخرى من الحيوانات في جر العربات ذات العجلات المستعملة آنذاك، وذكر ابن بطوطة أنه كان للعربة الواحدة أربع بكرات يجرها فرسان وأكثر أو البقر أو الجمال، وكان خادم العربة يركب أحد الأفراس التي تجرها وفي يده سوط وعود كبير للتوجيه، وعلى العربة شبه قبة من قضبان الخشب مربوط بعضها إلى بعض يرى من داخلها ما بخارجها ولا يرى من بخارجها ما بداخلها، أما العربة التي تحمل الأثقال والأطعمة فهي شبه البيت ولها قفل¹²⁰.

ب/الوسائل البحرية: وتتمثل في السفن بمختلف أحجامها وأنواعها، قال مقديش الصفاقسي: على ميلين من وهران المرسى الكبير، وبه ترسي المراكب الكبار والسفن السفرية¹²¹، فلم تكن السفن في ذلك الوقت كلها صغيرة، ومن أكبرها السفن الخيطية التي كانت تنطلق من ماسة إلى بلاد الصين، فهي كبيرة جدا حيث يبلغ ارتفاعها عشرة أمتار، حتى يضطر الناس عند الصعود لاستخدام السلم، وهي تحمل المئات من الرجال كما يخزن فيها من الحبوب مؤونة سنة كاملة، وكانت كبيرة إلى حد أنها كانت تستطيع حمل بضائع كثيرة تدر أرباحا تتناسب مع الأخطار والمشقات، كما كان يتكون طاقم السفينة من ملاحين ونواخذة وجذافون ومصالحون، وذكر المقديسي أن في كل مركب مقاتلة ونفاطين¹²².

وكان نظام سير السفن في البحر في شكل قوافل بحرية، فإذا لحق العطب مركبا وجد الغوت من الرفاق، كما أن السفن كانت تخضع للفحص من قبل الخبراء قبل إقلاعها¹²³.
ويتميز النقل البحري بارتفاع تكاليفه بالمقارنة مع وسائل النقل البري، ولهذا كانت أجور نقل التجارة بالسفن عالية، لتعوض عن خسائر السرقة والغرق¹²⁴.

ج/نظام سير القوافل: تخضع القافلة في السهر على إعدادها وسيرها إلى مشرفين على تنظيمها، قال ابن مليح السراج: هناك التقينا مع الركب المغربي مع سيدي محمد الحفيان¹²⁵، أي أنه المشرف على القافلة والوفد كله، وقال المقرئ عن أجداده: ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة، فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار، واتخذوا طبل الرحيل، وراية التقدم عند المسير¹²⁶، فكان انطلاق القافلة محددًا من جهة الزمان والمكان، حيث يجتمع من أراد الخروج في القافلة في مكان معين خارج المدينة حيث ملتقى التجار، فإذا حان الموعد واتخذ التجار كل استعداداتهم، انطلقت القافلة تحت إشراف مقدم يتحكم في انطلاقها

118- ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص 27

119- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 215

120- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 216

121- مقديش الصفاقسي: نزهة الأنظار، ص 78

122- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 214-205

123- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 213

124- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، ط 4، 1422هـ/ 2001م (ج 13 / 258)

125- ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص 32

126- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 1، ص 208

ومسيرها، ويضرب الطبل معلنا انطلاقها، كما ينظم إلى القافلة كل من أراد مرافقتها ولو لمسافة محدودة، كما قد ينظم إليها في الطريق من أراد ذلك¹²⁷، قال ابن مليح السراج: ثم نزلنا لبلاد توات لمدشر يعرف ببني أركان... فالتقينا بها مع القائد علي بن عبد القادر الشرقي باشا السودان قد عزم على الصعود مع الركب للحجاز، ويسلك معه الطريق الحجاز، وكان معه الفقيه أحمد بابا السوداني... ثم انتقلنا لبلاد كشتن وهو مدشر منحرف عن الطريق الجادة، فصدناهم لرغبتهم في التوجه معنا إلى الحج¹²⁸، كما كانت القافلة تستعين بالدليل في الفلوات والصحاري قال ابن مليح: ثم مرحلتان صحروان تاه في آخرهما الركب، وتلف أثنائهما الدليل مقدار ضحوة من النهار.

كما يلجأ التجار أصحاب القافلة للتزود بالمئونة وممارسة البيع والشراء أثناء مرورهم بالمدن والمداشر، قال ابن مليح: ثم نزلنا لبلاد توات بمدشر يعرف ببني أركان، بلد طيبة كثيرة الزرع والثمار، ذات عيون جارية وأنهار... فأقام بها الركب سبع عشرة يوما في نعمة شاملة وبيع وشراء وأخذ وعطاء¹²⁹.

وكانت القوافل التجارية التي تجتاز الصحراء تسلك الطرق التي تتوفر على الماء قال ابن مليح: ثم لبلاد تابلالت وهما مدشران كثيرا المرعى والخصب والماء الزلال العذب، ذات عيون جارية وحدائق مثمرة... ثم مرحلة صحراء ثم مرحلة ذات مورد عذب وماء زلال في آبار قصار... ثم منزل بعده صحراء ثم لمورد يعرف بعكلة محمد كثير المياه¹³⁰.

كما كان أصحاب القوافل يحملون معهم الخيام يستظلون بها من حر الشمس، كما حملوا السلاح للدفاع عن أنفسهم، وكانوا ينطلقون في المسير عند السحر الأخير ثم يسرون حتى يشتد الحر، ثم يحطون أحماهم ويقيدون جماهم ويحتمون في خيامهم إلى أول وقت العصر فيرحلون ويواصلون مسيرهم إلى أن يحل الظلام، فيحطون رحالهم ويبيتون ليلتهم¹³¹.

ه/الصادرات والواردات

أولا/منتجات المغرب الأوسط

المنتجات وبضائع تلمسان: مدينة تلمسان وصفها بعض الرحالة فقال: مدينة خضراء من كثرة البساتين والأشجار، طيبة الماء والهواء، وكثرة الزرع وشجر الزيتون والتين والعنب، والغالب عليها ثمار الزيتون وثمر الغدان (نوع من التين)... كثيرة الحرث والنسل والتجارة والحركات، وهي عند المسافرين في صقع المغرب مثل دمشق في الشام¹³².

كما وصفها مقديش الصفاقسي قريبا من هذا فقال: تلمسان مدينة قديمة لها نهر يأتيها من جبلها، يمر شرقي المدينة، وعليه أرحاء كثيرة، وما جاورها من المزارع كلها تسقى منه، وغلاتها ومزارعها كثيرة، وفواكهها جمّة وخيراتها شاملة ولحومها سمينة، وبالجملة فهي حسنة لرخص أسعارها ونفاق أشغالها وريح تجارتها¹³³.

وبالقرب منها قرية عين الصفصاف بها فواكه كثيرة وزروع ونعم دارة، ومدينة يلب بها عيون ومياه كثيرة وفواكه وزروع، وبلادها جيدة للفلاحة وزروعها نامية¹³⁴.

¹²⁷ - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 211-212

¹²⁸ - ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص 28-30

¹²⁹ - ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص 28-29

¹³⁰ - ابن مليح السراج: أنس الساري والسارب، ص 28

¹³¹ - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 212-213

¹³² - ابن الصباح: أنساب الأخبار، ص 95-97

¹³³ - زهة الأنظار، ج 1، ص 75

ومن سوق إبراهيم إلى بلدة التين مرحلة، وهي بلدة صغيرة حسنة كثيرة شجر التين، يعمل بها من التين شرائح مثل الطوب وبذلك تسمى، ويحمل منها إلى كثير من الأقطار¹³⁵.

وفي عهد أبي تاشفين الأول [718-737هـ] كان يفتخر على ملوك العرب بالمال والخزائن والحراث والنسل وزينة الثياب وكنوز الذهب والفضة والدخائر من الجواهر النفيس واللؤلؤ والزمر، والقدرة الواسعة بالمال والعبيد والوصفان، وبالخيل والكمال من ركوب السروج¹³⁶.

/// **بضائع تنس:** قال مقديش: مدينة تنس على مقربة من ضفة البحر، وشرب أهلها من عين، ولها في جهة المشرق واد كثير الماء، وشربهم منه في أيام الشتاء والربيع، وبها فواكه وخصب، ولها أقاليم وعمارات وأعمال وزروع، وبها الحنطة رخيصة جدا، وسائر الحبوب موجودة وتخرج منها إلى سائر الآفاق في المراكب، وبها من الفوكه كل طريفة، ومن السفرجل الطيب ما يفوت الوصف¹³⁷.
ومن تنس إلى بني وازلفن مرحلة لطيفة، وهي قرية كبيرة لها كروم وجنات ذوات سوان لزراع البصل والحناء والكمون ومعظمها على نهر شلف¹³⁸.

وبين وازلفن إلى الخضراء مرحلة، وهي مدينة صغيرة حصينة على نهر صغير عليه عمارات متصلة وكروم، وبها من السفرجل كل بديع ولها سوق وحمام¹³⁹.

وذكر صاحب الاستبصار أنه من تنس يحمل الطعام إلى الأندلس، ومن صادقاتها المرجان حيث ذكر ابن حوقل أن هذه السلعة لم تكن توجد في مكان غير هذه القرية المدعوة بمرسى الخرز ومدينة تنس ومدينة سبتة¹⁴⁰.

/// **بضائع وهران:** قال ابن الصباح: مدينة وهران مدينة مباركة بالحراث والنسل والخصب من الزرع الغالب من الحنطة الكثيرة واللحم السمين والسمن والفواكه، وهي على ساحل البحر مقابلة لمدينة مرسية في بر الأندلس¹⁴¹.

وقال مقديش الصفاقسي: وهران على مقربة من ضفة البحر، وبها أسواق مقدره وصنائع كثيرة وتجارا نافقة، وهي تقابل مدين المرية من ساحل بر الأندلس، وسعة البحر بينهما مجريان، ومنها ميرة أهل ساحل الأندلس، ومراكب الأندلس إليها مختلفة، وشرب أهلها من وادي يجري إليها من البر وعليه بساتين وجنات وبه فواكه ممكنة، وأهلها في خصب، والعسل بها موجود وكذلك السمن والزبد والغنم والبقر رخيصة، ومراكب الأندلس إليها مختلفة¹⁴².

/// **بضائع مدينة الجزائر:** قال ابن الصباح: هي مدينة التجارة والخصب والرخاء الشامل من الزرع وألوان النعم، مدينة على ساحل البحر مقابلة مدينة مالقة من جزيرة الأندلس¹⁴³.

134- نزهة الأنظار، ج 1، ص 77

135- نزهة الأنظار، ج 1، ص 77

136- ابن الصباح: أنساب الأخبار، ص 93

137- نزهة الأنظار، ج 1، ص 77

138- نزهة الأنظار، ج 1، ص 79

139- نزهة الأنظار، ج 1، ص 80

140- جودت عبد الكريم يوسف، الاوضاع الاقتصادية، ص 215-216

141- ابن الصباح: أنساب الأخبار، ص 95

142- نزهة الأنظار، ج 1، ص 78

143- أنساب الأخبار، ص 96

وذكر ابن حوقل أن لأهل جزائر بني مزغنة: من العسل ما يجهز عنهم والسمن والتين ما يجهز ويجلب إلى القيروان وغيرها¹⁴⁴.
11111/بضائع مدينة مليانة: قال مقديش: وهي قديمة البناء حسنة البقعة كريمة المزارع، ولها نهر يسقي أكثر زروعها وحدائقها وجنائها وعليه أرحاء، ولأقاليمها حظ من سقي نهر شلف، ومن مدينة مليانة إلى كزناية مرحلة، ومنها إلى سوق ريغة مرحلة، ولهذا القرية أرض متسعة وحرث ممتدة وفواكه وبساتين، ولها سوق حسنة وبها كروم ومزارع وعيون مضطردة، ومنها إلى ماورغة مرحلة، ومنها إلى مدينة نقاوس مرحلتان وهي مدينة صغيرة كثيرة الشجر والبساتين، وأكثر فواكهها الجوز ومنها يتجهز به إلى ما جاورها من الأقطار، وبها سوق قائمة، ومن مدينة نقاوس إلى حصن بسكرة مرحلتان وهو حصن منيع وبه سوق وعمارة وفيه من التمر كل غريبة وطريفة¹⁴⁵.

111111/بضائع بجاية: وكان الإيبيريون يستوردون الأصواف والجلود والشع-من بجاية خصوصا-، والتمر والسجاد ومنتجات حرفية أخرى¹⁴⁶، وأصبح الصوف يصدر إلى أوروبا بقوة منذ نهاية القرن 7هـ/13م، وقد تميز بجودة عالية، وكانت السوق الأوربية في أمس الحاجة إلى هذه المادة¹⁴⁷، كما ازدهرت صناعة البرنوس ببجاية ولقيت رواجا كبيرا لتوفر المادة الأولية وتوفر سوق استهلاكية واسعة، وأنواع أخرى مختلفة من الألبسة¹⁴⁸، وقد ذكرت بعض المصادر الجغرافية أماكن إنتاج العسل ببجاية وضواحيها، وخاصة في المناطق الجبلية حيث تسهل عملية تربية النحل، وكان الطعام المفضل الذي يقدم للضيوف ببجاية، حيث أن الشيخ أبي مدين اشترط على الشيخ أبي عمران تقديم العسل لضيوفه فأحضر لهم صفحة من عسل أبيض أكل منه الحضور مدة خمسة وعشرين يوما ثم تصدق بما تبقى منه¹⁴⁹، كما كان العسل يقدم فالاحتفالات والأعياد الدينية، وشهر رمضان حيث يقدم للأئمة في صلاة التراويح خصوصا¹⁵⁰.

1111111/بضائع قلعة بني حماد: قال مقديش: من أكبر البلاد قطرا وأكثرها خلقا وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا وأحسنها قصورا ومساکن، وأعمها فواكه وخصبا وحنطتها رخيصة ولحومها طيبة، وتبقى بها الحنطة إلى سنتين، وبها من الفواكه والنعم شيء كثير كله رخيص، وبلادها وجميع ما ينضاف إليها تصلح فيها السوائم لخصبها، وإذا كثرت فلاحتها أغنت وإذا قلت كفت، وأهلها أبدا شباع وأحوالهم صالحة¹⁵¹.

11111111/بضائع المسيلة: قال مقديش: هي عامرة في بسائط الأرض، ولها مزارع ممتدة ولأهلها سوائم خيل وأنعام، ولها جنات وعيون وفواكه وبقول ولحوم ومزارع قطن وحبوب، وهذه المدينة عامرة بالتجار، وهي على نهر فيه ماء كثير منبسط على وجه الأرض وليس بالعميق وهو عذب وفيه سمك صغير عليه طرق حمر سنة لم ير في معمور الأرض سمك على صفته، وأهل المسيلة يفخرون به، وربما صيد منه الكثير فاحتمل منه إلى قلعة بني حماد وبينهما إثنا عشر ميلا¹⁵².

144- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 215

145- نزهة الأنظار، ج 1، ص 80-81

146- م طالي: إشعاع الحضارة المغربية وتأثيرها على الحضارة الغربية، الفصل 3، تاريخ إفريقيا العام المجدد الرابع من القرن 12 إلى القرن 16م، ص 76

147- مسعود بريكة: الفضاء الثقافي البجائي، ج 1، ص 137

148- مسعود بريكة: الفضاء الثقافي البجائي، ج 1، ص 144

149- ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقيير، ص 75

150- مسعود بريكة: الفضاء الثقافي البجائي، ج 1، ص 156

151- نزهة الأنظار، ج 1، ص 81-82

152- نزهة الأنظار، ج 1، ص 79

الإبصار/بضائع قسنطينة: قال مقديش: مدينة عامرة بها أسواق وتجارات وأهلها مياسير ذووا أموال وأحوال واسعة ومعاملات للعرب ومشاركة في الحرث والادخار، والحنطة تقيم بها في مطامير مائة سنة لا تفسد، والعسل بها كثير، وكذلك السمن يتجهز بهما إلى سائر البلاد، وهي مظلة على فحوص متصلة بها ولها مزارع الحنطة والشعير ممتدة في جميع جهاتها¹⁵³.

ثانيا/صادرات المغرب الأوسط

ا/صادرات المغرب الأوسط إلى بلاد السودان: صدر تجار المغرب الأوسط إلى بلاد السودان مادة الملح المستخرج من مناجم تاغزا وبسكرة، وهي المادة التي تناظر الذهب¹⁵⁴، وكان طريقهم إلى بلاد السودان من سجلماسة فمنها يدخل التجار إلى بلاد السودان بالملح والنحاس والودع، ويعودون بالذهب¹⁵⁵، ويعتبر الملح مادة هامة للتصدير، وكانت له قيمة كبيرة في بلاد السودان، ذكر صاحب الاستبصار أن من عجائب الصحراء وجود معدن الملح بها، تحفر عنه الأرض تحت قامتين أو أكثر ويتجهز به إلى بلاد السودان، وكان التجار يبادلون الملح بوزن أو وزن من الذهب أو أكثر على حسب كثرة التجار وقتهم، ويذكر ابن حوقل أن ثمن حمل الملح في داوخل بلد السودان وأقاصيه ما بين 200 إلى 300 دينار، وتزداد أهمية الملح بالنسبة لتجار المغرب في كونه السلعة الوحيدة التي يمكنها أن تسدد ثمن الذهب المحلوب من بلاد السودان¹⁵⁶.

كما صدر تجار بلاد المغرب إلى السودان التمر، قال الإدريسي: ليس في بلاد السودان شيء من فواكه طيبة إلا ما يجلب إليها من التمر من بلاد سجلماسة أو بلاد الزاب، ويجلبه إليهم أهل ورقلان، وهكذا فإن تمر بسكرة قد وصل إلى بلاد السودان¹⁵⁷.

ب/صادرات المغرب الأوسط إلى بلاد الأندلس: ذكر موريس لومبار أن القمح الذي تنتجه إفريقية الشمالية، كان يصدر بواسطة السفن إلى الأندلس وصقلية¹⁵⁸، وذكر صاحب الاستبصار أن الأغنام كانت تجلب من تاهرت إلى بلاد المغرب والأندلس لرخصتها وطيب لحومها¹⁵⁹.

ومن البضائع التي تصدر من تنس إلى الأندلس الحنطة، وهي رخيصة جدا وسائر الحبوب، تخرج منها إلى سائر الآفاق في المراكب¹⁶⁰، كما ذكر صاحب الاستبصار أنه من تنس يحمل الطعام إلى الأندلس¹⁶¹.

كما كانت تصدر من وهران إلى الأندلس بضائع كثيرة كالحنطة الكثيرة واللحم السمين والسمن والفواكه¹⁶²، وقال مقديش عن مدينة وهران: هي تقابل مدين المرية من ساحل الأندلس، وسعة البحر بينهما مجريان، ومنها ميرة أهل ساحل الأندلس، ومراكب الأندلس إليها مختلفة... وشرب أهلها من وادي يجري إليها من البر، وعليه بساتين وجنات وبه فواكه ممكنة، وأهلها في خصب

¹⁵³ -نزهة الأنظار، ج1، ص83-84

¹⁵⁴ -جودت عبد الكريم : الأوضاع الاقتصادية، ص199

¹⁵⁵ - ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري (749هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقاني، أبو ظبي، ط1، 1423 هـ، (4 / 211)

¹⁵⁶ -جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص219-220

¹⁵⁷ -جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص218

¹⁵⁸ - جودت عبد الكريم : الأوضاع الاقتصادية، ص216

¹⁵⁹ - جودت عبد الكريم : الأوضاع الاقتصادية، ص216-217

¹⁶⁰ -نزهة الأنظار، ج1، ص77

¹⁶¹ - جودت عبد الكريم : الأوضاع الاقتصادية، ص215

¹⁶² -ابن الصباح: أنساب الأخبار، ص95

والعسل بها موجود وكذلك السمن والزبد والغنم والبقر بها رخيصة، ومراكب الأندلس إليها مختلفة¹⁶³، وكانت بجاية لا تخلوا من تجار الأندلس المترددين عليها والمستوردين لمختلف بضائعها.

111/صادرات المغرب الأوسط نحو أوروبا¹⁶⁴: وكان الإيبيريون يستوردون الأصواف والجلود والشمع-من بجاية خصوصاً-، والشمر والسجاد ومنتجات حرفية أخرى¹⁶⁵، وقد عرف الصوف ببجاية بجودته العالية حتى أصبح يصدر إلى أوروبا بقوة¹⁶⁶.

1111/صادرات المغرب الأوسط إلى المشرق: هناك بضائع كثيرة حملها تجار المغرب الأوسط إلى المشرق مع غيرهم من التجار، وذكر منها ابن حوقل: الأكسية الصوفية الرفيعة والدنية وجبات الصوف وما يعمل منها والحديد والعنبر والأنطاع والزئبق والرصاص والمولدات الحسان الرفقة والغلمان، كما يضيف المقديسي: الزيت والفسق والزعفران واللوز والبرقوق والمزاود والأنطاع والقرب، ويذكر الاصطخري: اللبود المغربية والبغال للسرغ والمرجان والعنبر والذهب والعسل والزيت والسفن والحري والسمور والخدم السود من السودان¹⁶⁷، بينما يذكر الجاحظ: النمر والقرظ واللبود والبزاة السود¹⁶⁸، كما صدر تجار المغرب الأوسط الخيول التي كانت تشتهر بتربيتها بلاد المغرب الأوسط إلى المشرق¹⁶⁹.

ونتيجة لوفرة الصوف اشتهرت بجاية بتصدير مجموعة من الألبسة نحو المشرق، كالبرنوس الذي لقي استحساناً داخلياً وخارجياً، وضبطت منه حمولة على متن مركب بجائي متجه نحو بنزرت¹⁷⁰.

ثالثاً/واردات المغرب الأوسط:

1/السلع المستوردة من بلاد السودان: القوافل المتجهة من المغرب الأوسط إلى بلاد السودان تعود محملة بأنواع مختلفة من البضائع من أشهرها:

1/الذهب: يتوفر معدن الذهب في بلاد غانة بكثرة قال الحميري: لملك غانة مملكة واسعة نحو الشهرين في مثلها، وفي بلاده يوجد الذهب الكثير، وهو يعم جميع بلاد الدنيا، وأفضل الذهب بمملكته ما كان يبلىد غيارو، وبينها وبين غانة نحو عشرين يوماً¹⁷¹، وأن مدينة كوغة وحواليها بها من معادن التبر كثير، وهم أكثر بلاد السودان ذهباً¹⁷²، ومدينة ونقارة في أرض السودان قريبة من غانة، وهي جزيرة طولها ثلاثمائة ميل وعرضها مائة وخمسون ميلاً، والنيل يحيط بها من كل جهة في سائر السنة، فإذا كان شهر أغسطس وحمي القيظ وخرج النيل وفاض، غطى هذه الجزيرة أو أكثرها وأقام عليها المدة التي عاداته أن يقيم ثم يأخذ في الرجوع، فإذا انحدر رجع كل من في بلاد السودان المنحشرين إلى تلك الجهة يبحثون طول أيام رجوع النيل، فيجد كل إنسان منهم في بحثه هناك ما أعطاه الله تعالى قليلاً أو كثيراً من التبر، وما يخيب منهم أحد، فإذا عاد النيل إلى حدّه باع الناس ما حصل بأيديهم من التبر، وتاجر بعضهم بعضاً، واشترى أكثره أهل وارقلان وأهل المغرب الأقصى، فأخرجوه إلى دور السبك في بلادهم، فيضربونه دنانير

¹⁶³-نزهة الانظار، ج1، ص78

¹⁶⁴-مسعود بريكة:الفضاء الثقافي البجائي، ج1، ص137

¹⁶⁵- م طالي: إشعاع الحضارة المغربية وتأثيرها على الحضارة الغربية، الفصل 3، تاريخ إفريقيا العام الملجد الرابع من القرن 12 إلى القرن 16م، ص76

¹⁶⁶-مسعود بريكة:الفضاء الثقافي البجائي، ج1، ص137

¹⁶⁷- جودت عبد الكريم : الأوضار الاقتصادية، ص220

¹⁶⁸- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناي الليثي (255هـ):التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر

التمينة، تح:حسن حسني عبد الوهاب التونسي، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط3، 1414هـ/1994م، ص28

¹⁶⁹- جودت عبد الكريم : الأوضار الاقتصادية، ص221

¹⁷⁰-مسعود بريكة:الفضاء الثقافي البجائي، ج1، ص137

¹⁷¹- محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح:إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت -، ط2، 1980 م ، (ص426)

¹⁷²- محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، (ص504)

ويتصرفون به في التجارات والبضائع وهكذا في كل سنة، وهو أكبر غلة عند السودان وعليها يعولون¹⁷³، ويعتبر الذهب السلعة الرئيسية في تجارت تاهرت البلاد الواقعة بين نهر السنغال وفالم وبانفج¹⁷⁴.

ويستخدم الذهب في المغرب الأوسط كما ذكر الحميري في صك النقود¹⁷⁵ فيجعلونه دنانير ذهبية، وكذلك في صناعة الحلبي، وقد حمله معهم الفاطميون عند رحيلهم إلى مصر¹⁷⁶.

وتكمن أهمية تجارة ذهب السودان في المغرب الأوسط في كونه سلعة ثمينة يمكنها أن تفي بتسديد أثمان البضائع المستوردة من بلاد المشرق والأندلس¹⁷⁷.

2/ العبيد: إن كانت تجارة العبيد بالغة الصعوبة لأنها تمارس مع البشر، حيث كانت قوافل المغرب الأوسط تعود محملة بالعبيد السود من بلاد السودان، وتكمن صعوبة هذه التجارة في التعب والنصب الذي ينال صاحبها في الخدم والرقيق فهذه هزلت وهذه جاعت وهذه مرضت وهذه هربت، فلم يكن أحد يصبر على ممارستها، لولا ما تذر عليه من من أرباح¹⁷⁸، حيث كان ثمن العبيد رخيصاً بسبب وفرته في بلادهم حتى بلغت قيمة العبد في بعض الأحيان أقل من قيمة حصان، بل كان التجار يقاضونه بما حملوا من سلع، ولم يكن في الغالب جلب العبيد من أجل الاستعمال المحلي بل كانوا يصدرونهم إلى مختلف الجهات، وقد شاع استخدام الفاطميين والزيريين للعبيد، كما صدرهم التجار إلى المغرب والأندلس¹⁷⁹.

3/ الدرق اللطية: قال الأدرسي: مدينة نول لمطة ومدينة آزقى للمطة أيضاً فأما مدينة نول الغربية فمنها إلى البحر ثلاثة أيام ومنها إلى سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة ومدينة نول مدينة كبيرة عامرة على نهر يأتي إليها من جهة المشرق وعليه قبائل لمتونة ولمطة¹⁸⁰ وبهذه المدينة تصنع الدرق اللطية، تصنع من جلد حيوان يقال له اللط، لا يوجد إلا هناك، وهو شبه الطباء أبيض اللون، إلا أنه أعظم خلقاً، يدبغ جلده في بلادهم باللبن وقشر بيض النعام سنة كاملة، لا يعمل فيه الحديد أصلاً، إن ضرب بالسيوف نسبت عنه، وإن أصابه خدش أو بتر يبيل بالماء ويمسح باليد فيزول عنه، يتخذ منه الدرق والجواشن قيمة كل واحد منها ثلاثون ديناراً¹⁸¹، لا شيء أبدع منها ولا أصلب منها ظهراً ولا أحسن منها صنفاً وبها يقاتل أهل المغرب لحصانتها وخفة حملها¹⁸²، يجلبها تجار المغرب الأوسط ويصدروها إلى المشرق والأندلس، كما يقدمونها هدايا كدليل على أهميتها¹⁸³.

4/ باقي السلع: من السلع والبضائع التي جلبها تجار المغرب الأوسط من بلاد السودان النمر وجلودها فكانوا يصدرونها إلى المشرق، وتستخدم في صناعة السروج، حتى بلغ ثمن الجلد الواحد خمسون ديناراً¹⁸⁴، وكذلك جلد حيوان البطي حيث وصف

173- الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار (ص611)

174- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص224

175- الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار (ص611)

176- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص225

177- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص226

178- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص227

179- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص227

180- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (ص66)

181- القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، (ص21)

182- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (ص66)

183- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص228-229

184- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص229

القزويني مدينة تكروور فقال: مدينة في بلاد السودان عظيمة مشهورة بها حيوان يسمى لبطي، يؤخذ من جلده المجن بيتاع كل مجن بثلاثين ديناراً، وخاصيته أن الحديد لا يعمل فيه البتة¹⁸⁵، والذبل من ظهور السلاحف تصنع منه الأمشاط، والعاج وريش النعام والصمغ، ومن الأدوية استوردوا جوز الشرك وفلفل السودان¹⁸⁶، كما جلب التجار بعض الحيوانات من السودان كالنمور والفيلة والأسود والزرافات، حيث كان تجلب صغيرة وتتم تربيتها في بلاد المغرب¹⁸⁷.

II/ السلع المستوردة من المشرق: من أهم السلع المستوردة من المشرق السيوف اليمانية التي كانت موجودة عند الخليفة المنصور الفاطمي، وكذلك الحلل اليمانية والثياب السعدية والعدينية، كما استخدم القرميد اليماني في بناء جامع القيروان من طرف أبو إبراهيم بن الأغلب، وكذلك اللؤلؤ الذي يجلب من عدن¹⁸⁸.

ومن السلع المستوردة من بغداد خشب الساج والرخام والزجاج، ووشي الكوفة وحرير الموصل، والملابس من مرو منها مبطنة وجبة مروى، ومختلف التحف والطرائف المستعملة في تزيين القصور كالأواني المصنوعة من الزجاج العراقي، وماء الورد من بلاد فارس، والطيب والكتب¹⁸⁹.

ومن بلاد الهند والصين استوردوا جوز الطيب والكافور والكرم وخشب الصندل والقرنفل والقرفة والفلفل وسائر التوابل، وقد حمل التجار معهم متاع الصين كله لما يدره من أرباح طائلة¹⁹⁰.

III/ السلع المستوردة من الأندلس: من أشهر أنواع السلع التي استوردها تجار المغرب الأوسط من الأندلس: الحديد والكتان والرصاص والنحاس من إلبيرة، وشجر الجوز وقصب السكر، وقد وصفها القزويني بذلك فقال: في ساحلها شجر الموز، ويحسن بها نبت قصب السكر، وبها معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والصفرة، ومعدن التوتيا ومقطع الرخام، وتحمل هذه الأشياء منها إلى سائر بلاد الأندلس¹⁹¹، ومن طليطلة الصيغ السماوي والزعفران، وقد وصفها الحميري فقال: وفي جبال طليطلة معادن الحديد والنحاس، وعلى مقربة من طليطلة قرية تسمى بمغام في جبالها وتربها الطين المأكول يتجهز به إلى مصر والشام والعراق، ليس على قرار الأرض مثله في لذة أكله وتنظيف غسل الشعر به¹⁹²، وكانت ألمرية مقصد التجار من مختلف أصقاع العالم قال الحميري: وكانت ألمرية في أيام المثلثين مدينة الإسلام، وبها من كل الصناعات كل غريبة، وكان بها من طرز الحرير ثمانمائة طراز، وتعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون والأصبهاني والجرجاني والستور المكلفة والثياب المعينة والعنابي والمعاجر وصنوف أنواع الحرير، وكانت فيما تقدم تصنع بها من صنوف آلات النحاس والحديد ما لا يحصى، وكان بها من فواكه واديها الكثير الرخيص، وكانت تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام، ولم يكن بالأندلس أكثر من أهلها مالا¹⁹³، كما استورد التجار من مرسية خاصة أجود أنواع الأسرة والفرش والثياب التي اشتهرت بها قال الحميري: ولها جامع جليل وحمامات وأسواق عامرة، وهي راحية أكثر الدهر

185 - القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، (ص 8-9)

186 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 229-130

187 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 230

188 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 232

189 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 232-234

190 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 234

191 - آثار البلاد وأخبار العباد، (ص 206)

192 - الروض المعطار في خبر الأقطار (ص: 394)

193 - الروض المعطار في خبر الأقطار (ص: 538)

رخيصة الفواكه كثيرة الشجر والأعشاب وأصناف الثمر، وبها معادن فضة غزيرة متصلة المادة، وكانت تصنع بها البسط الرفيعة الشريفة ولأهلها حذق بصنعتها وتحويدها لا يبلغه غيرهم¹⁹⁴، وثياب الحرير الموشاة بالذهب ذات الصنائع الغريبة¹⁹⁵، ومن كورة تدمير مدينة لورقة مدينة كبيرة بالأندلس، قاعدة كورة تدمير، هي أكرم بقاع الأندلس وأكثرها خيراً سيما الفواكه، فإن بها من أصناف الفواكه ما لا يوجد في غيرها حسناً وكثرة، سيما الكمثرى والرمان والسفرجل، ومن قوة أرضها ما ذكره العذري أن بها عنباً وزن العنقود منه خمسون رطلاً بالبغدادي، وأن الحبة من الحنطة تصيب هناك مائة حبة¹⁹⁶، ووصفها الحميري بكثرة المعادن وسوقها المشهور فقال: وبها أسواق وريض في أسفل المدينة وعلى الريض سور، وفي الريض السوق، وبها معدن تربة صفراء ومعادن مغرة تحمل إلى كثير من الأقطار، وبينها وبين مرسية أربعون ميلاً وفيها معدن لازورد¹⁹⁷، كما اشتهرت إشبيلية بالزيتون والعسل والتين قال القزويني: بها زيتون أخضر يبقى مدة لا يتغير به حال ولا يعروه اختلال، وقد أخذ في الأرض طولاً وعرضاً فراسخ في فراسخ، ويبقى زيتته بعدوبته أعواماً، وكذلك بها عسل كثير جداً وتين يابس¹⁹⁸، وزيتونها يتجهز بها التجار إلى كل الجهات، قال الحميري: ... وسوقها عامرة وخلقتها كثير وأهلها مياسير، وجل تجارتهم الزيت يتجهزون به إلى المشرق والمغرب براً وبحراً¹⁹⁹، كما اشتهرت مدينة لبلة بمنتجاتها التي يتجهز بها التجار فكان يجلب منها العصفر الجيد، والعناب الذي لا نظير له في الآفاق، ويعمل بها الأديم الجيد الذي يحاكي الطائفي²⁰⁰، وهي كثيرة الزيتون والشجر وضروب الثمر يكون فيها القرمز الفاضل ويجود بها العصفر²⁰¹، ومن شذونة: وأطيب العنبر العربي إنما يوجد بساحلها، وبساحل شذونة المقل الذي يعظم جماره حتى يكون قلبه مثل قلب النخل، وكانت ترد منه الغرائب على الخلفاء²⁰²، واشتهرت بلنسية بالزعفران قال القزويني: جمعت خيرات البر والبحر والزرع والضرع، طيبة التربة ينبت بها الزعفران ويزكو بها، ولا ينبت في جميع أرض الأندلس إلا بها كأرض روداور بأرض الجبال²⁰³.

1111/السلع المستوردة من أوروبا: استورد تجار المغرب الأوسط الخدم الصقالبة والروم والإفرنج، والجواري الروميات وجلود الخنز والوبر والفراء والسمور والسيوف من أوروبا عن طريق الأندلس²⁰⁴، كما وردت حمولات بكميات كبيرة لأنواع مختلفة من الأقمشة على بحاية، كانت تستعمل في الصناعات النسيجية والألبسة والخمارات والسجاد والبعض الآخر يصدر إلى مناطق أخرى، وكانت هذه الحمولات تصل خصوصاً من مرسيليا وميروقة²⁰⁵.

194- الروض المعطار في خبر الأقطار (ص: 539)

195- ابن سعيد المغربي: الجغرافيا (ص: 34)

196- آثار البلاد وأخبار العباد، (ص 206)

197- الروض المعطار في خبر الأقطار (ص: 512)

198- آثار البلاد وأخبار العباد (ص: 203)

199- الروض المعطار في خبر الأقطار (ص: 59)

200- آثار البلاد وأخبار العباد (ص: 228)

201- الروض المعطار في خبر الأقطار (ص: 508)

202- الروض المعطار في خبر الأقطار (ص: 339)

203- آثار البلاد وأخبار العباد (ص: 210)

204- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 223

205- مسعود بريكة: الفضاء الثقافي البجائي، ج 1، ص 137

أ/تعريف السوق لغة: السوق بالضم، قال ابن سيده: هي التي يتعامل فيها تذكر وتؤنث، وقال ابن دريد: السوق معروفة، تؤنث وتذكر، وأصل اشتقاقها من سوق الناس بضائعهم إليها، مؤنثة وتذكر²⁰⁶، قال ابن منظور: والسُّوق موضع البياعات، قال ابن سيده السُّوق التي يتعامل فيها تذكر وتؤنث، والجمع أسواق²⁰⁷، والسُّوق معروفة هي موضع البياعات²⁰⁸، و(تسوق) باع واشترى، وتسوق القوم اتخذوا سوقاً²⁰⁹، وقد وردت بهذا اللفظ في موضعين من القرآن الكريم {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ} [الفرقان: 20]، {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ} [الفرقان: 20]، وتسوق القوم إذا باعوا واشتروا، وسميت السُّوق لأن التجارة تجلب إليها وتُساق المبيعات نحوها²¹⁰، وقال ابن حجر: وأما السوق الذي يباع فيها فقيل سميت بذلك لما يساق إليها من الأمتعة وقيل للقيام فيها على السوق²¹¹

أ/تعريف السوق في الاصطلاح: هو المكان الذي تجلب إليه السلع من أجل ابتياعها وبيعها²¹²، قال ابن خلدون: أعلم أن الأسواق كلها تشتمل على حاجات الناس فمنها الضروري وهي الأقوات من الحنطة وما في معناها كالباقلاء والبصل والثوم وأشباهه ومنها الحاجي والكمالي مثل الادم والفواكه والملابس والمعاون والمراكب²¹³، فيطلق اسم السوق على كل مكان يقع فيه البيع والشراء.

أ/تعريف السوق الإسلامي: السوق الإسلامي عبارة عن مساحة من الأرض بجوار المسجد خالية من المباني يعرض فيها كل تاجر سلعته²¹⁴

أ/فضل السعي في الأسواق: مما يدل على فضل الأسواق ما يشرع من الأعمال بها كالصلاة المفروضة، قال ابن حجر: ظهر بحديث أبي هريرة أن الصلاة في السوق مشروعة وإذا جازت الصلاة فيه فرادى كان أولى أن يتخذ فيه مسجد للجماعة²¹⁵، وكذلك الذكر والتكبير والتسبيح وما وصله سعيد بن منصور من رواية عبيد بن عمير قال كان عمر يكبر في قبته بمنى ويكبر أهل المسجد ويكبر أهل السوق حتى ترتج منى تكبيراً²¹⁶، وَعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ قَالَ حِينَ يَدْخُلُ السُّوقَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُجِيبِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا

²⁰⁶ - الزبيدي أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، (ج25/ 476)

²⁰⁷ - محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري: لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط1، (ج10/ 166)

²⁰⁸ - أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز: المغرب في ترتيب المغرب، تح: محمود فاخوري و عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد - حلب، ط1، 1979، (ج1/ 422)

²⁰⁹ - إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار: المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (ج1/ 464)

²¹⁰ - محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري: لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط1، (ج10/ 166)

²¹¹ - ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي: فتح الباري، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، (ج1/ 135)

²¹² - http://mawdoo3.com/

²¹³ - ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، (ج1/ 362)

²¹⁴ - بيلي إبراهيم أحمد العليمي: العناية بالتجارة في الاقتصاد الإسلامي، ص715

²¹⁵ - ابن حجر: فتح الباري، (ج1/ 565)

²¹⁶ - ابن حجر: فتح الباري - (ج2/ 462)

يُبَوِّثُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ²¹⁷ والحديث أخرجه الترمذي وغيره²¹⁸، وقد تبث دخول النبي -صلى الله عليه وسلم- السوق في أكثر من حديث، ومنها حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان في السوق فسمع رجلا يقول يا أبا القاسم فالتفت إليه فقال لم أعنك فقال سموا باسمي ولا تكونوا بكنتي²¹⁹، والمراد بالسوق الذي دخله النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الذي كان بالبيع²²⁰، وفي حديث آخر عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي غَزَزَةَ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ يَبِيعُ طَعَامًا، فَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ، أَسْأَلُكَ الطَّعَامَ مِثْلَ أَغْلَاةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ عَشَّ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ²²¹، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرَوَاهُ ثِقَاتٌ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْثُومٍ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمرَ، وَقَدْ صَحَّ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مَعَ مَا اشْتَهَرَ مِنْ زَهْدِهِ وَوَرَعِهِ أَنَّهُ قَالَ لَمَنْ سَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ أَلْزَمَ السُّوقَ وَقَالَ لآخر استغن عن الناس فلم أر مثل الغنى عنهم، وقال ينبغي للناس كلهم أن يتكولوا على الله وأن يعودوا أنفسهم التكسب ومن قال بترك التكسب فهو أحمق يريد تعطيل الدنيا نقله عنه أبو بكر المروزي²²²، أما ما ورد في ذم الأسواق فهو على وجه مخصوص وليس على العموم، ومنها حديث عطاء الخراساني عَنْ مَوْلَى امْرَأَتِهِ أُمِّ عَثْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ يَقُولُ « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ غَدَتِ الشَّيَاطِينُ بِرَأْيَاتِهَا إِلَى الْأَسْوَاقِ فَيَرْمُونَ النَّاسَ بِالتَّرَائِبِ أَوْ الرِّبَائِثِ وَتُبْطُونُهُمْ عَنِ الْجُمُعَةِ وَتَعْدُو الْمَلَائِكَةَ فَيَجْلِسُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَيَكْتُمُونَ الرَّجُلَ مِنْ سَاعَةِ وَالرَّجُلَ مِنْ سَاعَتَيْنِ حَتَّى يَخْرُجَ الْإِمَامُ...²²³، هذا في كون الأسواق موضع الشياطين²²⁴، وفي كونها من شر البقاع، حديث ابن عُمرَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْبِقَاعِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «لَا أَدْرِي». فَقَالَ: أَيُّ الْبِقَاعِ شَرٌّ؟ قَالَ: «لَا أَدْرِي...» فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُزِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَأَلْتُ مُحَمَّدًا أَيُّ الْبِقَاعِ خَيْرٌ؟ فَقُلْتُ لَا أَدْرِي، وَسَأَلْتُ أَيُّ الْبِقَاعِ شَرٌّ؟ فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ خَيْرَ الْبِقَاعِ الْمَسَاجِدُ، وَأَنَّ شَرَّ الْبِقَاعِ الْأَسْوَاقُ²²⁵، قال ابن حجر: الحديث الوارد في أن الأسواق شر البقاع وأن المساجد خير البقاع كما أخرجه البزار وغيره لا يصح إسناده ولو صح لم يمنع وضع المسجد في السوق لأن بقعة المسجد حينئذ تكون بقعة خير²²⁶، وقوله في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِفَاحِشٍ وَلَا مُتَفَحِّشٍ وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ²²⁷، فمعنى ولا سخاب في الأسواق يستفاد منه أن دخول الإمام الأعظم السوق لا يحط من مرتبته لأن النفي إنما ورد في ذم السخب فيها لا عن أصل الدخول²²⁸.

217- ابن ماجه: كتاب السنن، (ج2/ 752)

218- ابن حجر: فتح الباري، (ج11/ 206)

219- ابن حجر: فتح الباري (ج10/ 572)

220- ابن حجر: فتح الباري، (ج4/ 341)

221- محمد بن فتوح الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تح: علي حسين البواب، دار ابن حزم - بيروت، 1423هـ/2002م، ط2، (ج3/ 220)

222- ابن حجر: فتح الباري، (ج11/ 276)

223- أبو داود: كتاب السنن، (ج1/ 406)

224- ابن حجر: فتح الباري، (ج2/ 135)

225- البيهقي: السنن الكبرى، (ج3/ 65)

226- ابن حجر: فتح الباري، (ج1/ 564)

227- البيهقي: السنن الكبرى (ج7/ 45)

228- ابن حجر: فتح الباري، (ج4/ 343)

أول الأسواق في الإسلام: كانت ذو الميجاز بفتح الميم وعكاظ ومجّنة وحباشة، متجر الناس في الجاهلية أي مكان تجارهم وفي رواية بن عيينة أسواقا في الجاهلية، قال الفاكهي ولم تزل هذه الأسواق قائمة في الإسلام إلى أن كان أول ما ترك منها سوق عكاظ في زمن الخوارج سنة تسع وعشرين ومائة وآخر ما ترك منها سوق حباشة في زمن داود بن عيسى بن موسى العباسي في سنة سبع وتسعين ومائة، ثم أسند عن بن الكلبي أن كل شريف كان إنما يحضر سوق بلده إلا سوق عكاظ فإنهم كانوا يتوافون بها من كل جهة فكانت أعظم تلك الأسواق²²⁹، والسوق كان موجودا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان يتعاهده الفضلاء من الصحابة لتحصيل المعاش للكفاف وللتعفف عن الناس²³⁰.

ب/أنواع الأسواق وتنظيمها

أ/أنواع الأسواق: ظهرت في المغرب الأوسط أنواع من السوق منها الأسواق اليومية والأسواق الأسبوعية والأسواق العسكرية
1/الأسواق اليومية: هذا النوع من الأسواق هو الأكثر انتشارا، وذلك لحاجة الناس اليومية لمختلف السلع المعروضة بها، ويرتكز وجوده بالقرب من التجمعات السكانية في المدن والقرى، أو أحيانا كان لكل قبيلة أو مجموعة منها متجاورة سوق محلية يومية يجتمعون فيها²³¹، وتوجد منه نماذج كثيرة في المغرب الأوسط كسوق أغادير بتلمسان وسوق منشار الجلد

2/الأسواق الأسبوعية:تعقد في أيام معلومة من الأسبوع وتوجد منها نماذج كثيرة في المغرب الأوسط كسوق معسكر يوم الخميس حيث تباع فيه الماشية والحبوب والزيت والعسل، وسوق قلعة هوارة يوم السبت تباع فيه الخضار والفواكه ولحوم المواشي والزراي والكاتب²³²، وكذلك سوق مازونة لبيع الفواكه والألبان والسمن والعسل، وسوق الشلف يوم الجمعة، وسوق إبراهيم بالقرب من التنس، وسوق كرام بمليانة²³³ وغيرها

3/الأسواق الموسمية: وتعقد هذه الأسواق في مناسبات معينة كالأعياد حيث يكثر الطلب على اقناء الألبسة الجديدة، وكذلك شراء الأضاحي، فتعقد أسواق خاصة بمواسم الاعياد لهذا الغرض.

4/الأسواق العسكرية:وهذا النوع من الأسواق خاص بالجيش يتنقل معه أثناء غزواته

أ/تنظيم السوق: يتم تنظيم السوق على أساس تيسير وصول المشترين إلى المتاجر المختلفة دون ضرر، وكذلك تنشيط روح المنافسة حتى لا يقع التلاعب بالأسعار، وتسهيل مراقبتها من طرف المحتسبين، وتسهيل التنقل بين تاجر وآخر²³⁴، حيث يوضع كل سوق في المكان المناسب له، كما تخصص أماكن بعينها لبعض الأسواق، فتتنظم السوق على أساس معيارين أساسيين

1/المعيار الأول حسب حاجات السكان المتكررة والضرورية لبعض السلع

2/المعيار الثاني حسب النشاط الذي يمارس فيها، فبعض الحرف تقتضي بطبيعتها أن تكون أماكن وجودها خارج المدينة أو على أطرافها بالقرب من أبوابها، كسوق القصابين لأنهم يحتاجون إلى المذبح خارج المدينة وتسهيل نقل اللحم من المذبح إلى السوق دون

²²⁹ - ابن حجر: فتح الباري، (ج3/ 594)

²³⁰ - ابن حجر: فتح الباري، (ج4/ 340)

²³¹ -جودت عبد الكريم:الأوضاع الاقتصادية، ص129

²³² -حسن الوزان:وصف إفريقيا، تح:محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ، ط2، ج2، ص26-27

²³³ -ابن حوقل:صورة الأرض، دار مكتبة الحياة بيروت، 1992م، 89

²³⁴ -جودت عبد الكريم:الأوضاع الاقتصادية، ص128

عبور المدينة، وكذلك جلابي الحطب والتبن وصناعة الفخار حيث تخصص لهم أطراف المدينة²³⁵، وكذلك أسواق الدباغين تكون بضاف الوديان لغسل الصوف والجلود وصبغها وضبغها بسبب الروائح الكريهة المنبعثة منها²³⁶.

فيقسم السوق حسب نوعية البضائع المعروضة أو حسب الحرف، مثل ماهو الحال بتلمسان حيث كانت بها سوق الغزل، ويقع بدوره شمال المسجد الأعظم، تباع فيه المنتوجات الصوفية والحياكة التي اشتهرت بها نساء وورشات تلمسان، حيث يقمن ببيع منتجتهن في هذه السوق بشكل مباشر أو بواسطة كما ذكر أبو عبد الله العقباني- في حديثه على مخالطة النساء للصناع والسماصرة في سوق الغزل-، وكانت بها سوق لبيع الكتب ذكرها ابن مرزوق حين قال: سمعت الشيخ أبا الحسن الرعيني يقول: رأيت بتلمسان بيد سمسار ينادي بسوق الكتب بتلمسان بسبعة عشر درهما، وكانت بها سوق خاصة بالحبوب برحبة الزرع وكانت ملتقى أهل البادية بأهل المدينة²³⁷، بينما كان سوق الصاغة يقع قرب مسجد أبي الحسن لا يخلو من يهود متضلعين في هذه المهنة²³⁸، وقد سميت مختلف أسواق تلمسان بحسب البضائع والحرف التي تمارس بها مثل: السراجين، الخراطين الغرابيين الإسكافيين الخرازين العطارين الحدادين الصبائين السمار، والدرازين والنساجين والصباعين²³⁹، والحدادين والخرازين والعشابين والصاغة وسوق الخضر والفواكه والحبوب²⁴⁰، وغالبا ما تتجمع الدكاكين والحوانيت في شارع رئيسي تجتمع فيه حرف متعددة ومتكاملة، ويسمى الشارع بنوع النشاط المزاوول فيه، كما هو الحال في درب العباد حيث انتشرت به مختلف الدكاكين وحوانيت الصباغين.

ولم تكن التجارة حكر على فئة من المجتمع دون أخرى، حيث مارسها حتى الفقهاء، مثل الفقيه أبو محمد عبد الله الشريف الذي اختص في تجارة الصوف بسوق الصوافين ببجاية، ويحضى باحترام وتقدير التجار لعلمه ودينه ونسبه²⁴¹، كما فضلها بعض المتصوفة مهنة لهم، لأنها تجارة حرة لا شبهة فيها، بالإضافة إلى ما تدره من مدخول يفي بالغرض المعيشي²⁴².

III / القيسارية:

1/ تعريفها: القيسرية مصطلح مأخوذ من لفظة قيصر وهو مصطلح لاتيني أو يوناني، وقيل مصطلح إسباني يعني المحطة، وهي مكان مغطى ومخصص للبيع والشراء²⁴³، وتختلف القيسارية عن السوق العادي بسعتها وتنظيماتها المحكمة، وتشتمل على أروقة مغطاة تشبه السوق العصري.

2/ نماذج من قيسارية تلمسان وبجاية: ووجدت بتلمسان قيسرية كبيرة كانت تقع في الجهة الشمالية الشرقية للجامع الأعظم، وهي عبارة عن مساحة واسعة مغطاة ولها أبواب تتضمن مجموعة من الحوانيت تتنوع مبيعاتها، يسهر على أمنها حارس يراقب الداخلين

²³⁵ - بيلي إبراهيم أحمد العلمي: العناية بالتجارة في الاقتصاد الإسلامي، ص 717-719

²³⁶ - خالد بلعربي: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن [633-681هـ/1235-1282م]، دار الأملية الجزائر، ص 128

²³⁷ - سناء عطايي: الفقه وتنظيم المجال الحضري في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري/الثالث عشر والخامس عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه تحت إشراف: علاوة عمارة، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، السنة الجامعية 2017-2018، ص 473

²³⁸ - سناء عطايي: الفقه وتنظيم المجال الحضري في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري/الثالث عشر والخامس عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه تحت إشراف: علاوة عمارة، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، السنة الجامعية 2017-2018، ص 474

²³⁹ - سناء عطايي: الفقه وتنظيم المجال الحضري في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري/الثالث عشر والخامس عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه تحت إشراف: علاوة عمارة، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، السنة الجامعية 2017-2018، ص 474

²⁴⁰ - المرجع نفسه، ص 246

²⁴¹ - الغبريني: عنوان الدراية، ص 91

²⁴² - مسعود بركة: الفضاء الثقافي البجائي، ج 1، ص 162

²⁴³ - سناء عطايي: الفقه وتنظيم المجال الحضري في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري/الثالث عشر والخامس عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه تحت إشراف: علاوة عمارة، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، السنة الجامعية 2017-2018، ص 470

والخارجين، كما يقوم بغلق الباب ليلا إلى غاية ما بعد صلاة الفجر، كما تحتوي على مسجد، كما احتوت على دور وفنادق وكنيسة، وأفران وحمامات ومطاعم وإصطبلات، كما كانت تحتوي مستودعات لحفظ البضائع سريعة التلف وتخزين بضائع مختلف التجار لاسيما الأجانب، فكانت تحتوي كل المستلزمات التي توفر مختلف الخدمات وتجذب إليها مختلف الفئات، وتسهل بقاءها أطول مدة ممكنة حتى استكمال كل المعاملات المالية والتجارية، وكانت هذه القيسرية مأوى وملجأ للتجار المسيحيين من جنوب إيطاليا وغيرها²⁴⁴.

بينما توفرت مدينة بجاية على قيسارية كان الفقيه عمر بن عزون السلمي يمتلك بها حانوتا²⁴⁵.

1111/الفنادق:

1/مكوناتها: تتكون الفنادق عموما من ساحات وأفنية مركزية لعرض البضائع ومستودعات لحفظها ودكاكين لتقديم مختلف أنواع الخدمات التجارية، وتختلف عن القيسارية بكونها ذات ملكية خاصة²⁴⁶، وتخصص الفنادق عموما لتجار الجملة، حيث يجزنون بها بضاعتهم المستوردة.

2/نماذج من فنادق المغرب الأوسط: بموجب المعاهدات التي تعقد بين مختلف الأطراف، امتلك سكان شبه جزيرة إيبيرية في كل الموانئ المغربية الكبرى كتلمسان وبجاية، سلسلة كاملة من الفنادق، كانت مزودة بكنيسة صغيرة وتحتوي على فرن ومطعم بالإضافة إلى المخازن ومراكز التجارة، تخضع في تسييرها لإشراف قناصل يمثلون أهل ملتهم أمام السلطات المحلية²⁴⁷.

أما بتلمسان فقد تعددت الفنادق وقد عد بعض الباحثين منها ثمانية:فندق بوعلي، فندق بن زرجب، فندق تابت، فندق المامي، فندق بارا أو بابا أحمد، فندق سيدي منصور ورسطان، فندق بن تشيعلي، وكان أشهره يقع وسط المدينة، ومنها اثنان خاصة بإقامة تجار جنوة والندقية²⁴⁸ إلى جانب رعايا العرش الأراغوني من مسحيين ويهود، ومنه نموذج بوهران سنة 686هـ/1287م كان تابعا لملك أراغون يسيره ممثلين عنه، أو باسم المدينة المنتمي إليها، كما كانت هناك فنادق للتجار المحليين والغرباء المسلمين، تمتع فيه المحرمات، ويشرف عليه صاحب السوق أو المحتسب.

وعند بناء حماد بن بلكين [380-419هـ/990-1052م]لمدينة القلعة سنة 398هـ/1007م[استكثر فيها من المساجد والفنادق، فاستبحرت في العمارة واتسعت في التمدن، ورحل إليها من الغور القاصية طلاب العلم²⁴⁹.

أما فنادق بجاية فقد سكنها الطلبة والفقهاء وحتى الصوفية، ومنهم أبي العباس أحمد بن عزيز الخراز الذي اكتشف ميتا في أحدها سنة 600هـ/1203م²⁵⁰، وكانت الفنادق بما كثيرة، بعضها يتسع للمقيمين مع متاعهم وعدتهم، حيث أن الفقيه أبي يحيى زكرياء الزواوي اكرى واحدا منها وجمع فيه الزاد والمؤونة ثم وزعها على الفقراء والمحتاجين²⁵¹.

²⁴⁴- سناء عطايي: الفقه وتنظيم المجال الحضري في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري/الثالث عشر والخامس عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه تحت

إشراف: علاوة عمارة، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، السنة الجامعية 2017-2018، ص 471-472

²⁴⁵- مسعود بريكة: الفضاء الثقافي البجائي، ج1، ص162

²⁴⁶- سناء عطايي: الفقه وتنظيم المجال الحضري في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري/الثالث عشر والخامس عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه تحت

إشراف: علاوة عمارة، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، السنة الجامعية 2017-2018، ص 475

²⁴⁷- م طالب: إشعاع الحضارة المغربية وتأثيرها على الحضارة الغربية، الفصل 3، تاريخ إفريقيا العام المجلد الرابع من القرن 12 إلى القرن 16م، ص 76

²⁴⁸- سناء عطايي: الفقه وتنظيم المجال الحضري في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري/الثالث عشر والخامس عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه تحت

إشراف: علاوة عمارة، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، السنة الجامعية 2017-2018، ص 475

²⁴⁹- ابن خلدون: العبر، ج6، ص 171

²⁵⁰- التادلي ابن الزيات: التشوف، ص 378

²⁵¹- المصدر نفسه، ص 429

ج/نظام الحسبة على السوق ووظيفة المحتسب:

ا/تعريف الحسبة والمحتسب:

1/ في اللغة: (الحسبة) الحساب²⁵²، قال الأصمعي وفلان حسن (الحِسْبَة) في الأمر أي حسن التدبير والنظر فيه²⁵³، واخْتَسَبَ عليه: أنكر ومنه: المِخْتَسِبُ²⁵⁴، يقال فلان حسن الحسبة في الأمر يحسن تدبيره وفعله حسبة مدخرا أجره عند الله وهو منصب كان يتولاه في الدول الإسلامية رئيس يشرف على الشؤون العامة من مراقبة الأسعار ورعاية الآداب، و(المحتسب) من يتولى منصب الحسبة²⁵⁵.

2/ إصطلاحا: عرفها الماوردي بقوله: الحسبة واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم²⁵⁶، بينما عرفها ابن خلدون بقوله: هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين، يُعين لذلك من يراه أهلا له، فيتعين فرضه عليه ويتخذ الأعون على ذلك²⁵⁷.

3/ تعريف المحتسب: يقال لمن يقوم بهذا المنصب في الشؤون العامة: "المحتسب" أي: الذي يراقب الناس في المجامع العامة، ويتابع أعمالهم، ويحاسبهم، ولا تقتصر أعمال المحتسب ومهامه على حفظ الأمن، فالحسبة وظيفه المحتسب وتطلق على منصب كان يتولاه رئيس يشرف على الشؤون العامة في الأسواق وفي سائر المجامع العامة، ومن وظائفه المراقبة والمتابعة العامة لضبط الحقوق ورعاية الآداب، ومنع ما لا يأذن به الدين وتأديب المخالفين، والضرب على أيدي المجاهرين بالمعاصي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويقوم المحتسب بتعيين مراقبًا على أهل كل حرفة بحسب الحاجة، يكون خبيرًا بما عالما بدقائقها متابعًا براقبته أعمال الحرفيين، لمنعهم من الغش والتدليس، وتأديب المخالفين.

4/ نشأة الحسبة والمحتسبين: أول بداية لظهور الحسبة ووظيفة المحتسب تعود لعد النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث استعمل "سعيد بن سعيد بن العاص" يوم الفتح على سوق مكة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الطائف خرج معه فاستشهد

²⁵² - إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار: المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (ج1 / 171)

²⁵³ - أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية - بيروت، (ج1 / 135)

²⁵⁴ - الفيروزآبادي محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، (ص95)

²⁵⁵ - إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار: المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (ج1 / 171)

²⁵⁶ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص91.

²⁵⁷ - ابن خلدون: المقدمة، ص280-281

يومئذ²⁵⁸، لكن ظهور الحسبة كجهاز منظم يعود إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو أول من وضع في دولة المسلمين نظام الحسبة، وكان يتولاه بنفسه لعلو همته، وشدة عزمه وحزمه.

11/وظيفة ومهام المحتسب:

1/تنوع مهام ووظيفة المحتسب: نشأة وظيفة المحتسب بسيطة ببساطة حياة المجتمع الإسلامي الذي تميز في بداية نشأته بشدة الالتزام بأحكام الدين، فكانت المخالفات قليلا ما تقع وإذا وقعت قومها المحتسبون، ويتطور المجتمع الإسلامي واتساع الفتوحات وغيرها تطورت مهام المحتسب عبر الزمن فهذا ابن خلدون يعدد مهام المحتسب في عصره فيقول: يبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها، ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة، مثل المنع من المضايقة في الطرقات، ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في الحمل، والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بدمها، وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة، والضرب على أيدي المعلمين في المكاتب وغيرها في الإبلاغ في ضربهم للصبيان المتعلمين...وله النظر والحكم فيما يصل إلى علمه من ذلك ويُرفع إليه...فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعاش وغيرها في المكاييل والموازن، وله أيضا حمل الماطلين على الانصاف²⁵⁹.

2/علاقة الحسبة بالقضاء: يقوم بالمحتسب بكل ما ليس فيه سماع بينة ولا إنفاذ حكم، وهي أحكام يتنزه القاضي عنها لعمومها وسهولة أغراضها، فتدفع إلى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها، فوضعها على ذلك أن تكون خادمة لمنصب القضاء²⁶⁰.

3/مهام المحتسب على السوق: يسهر المحتسب على تنظيم السوق من خلال مراقبة السلع المعروضة وسلامتها، والتصدي لكل أنواع الغش والتدليس في المبيع أو ثمنه، ومنع التعامل بأنواع البيوع الفاسدة، ومنع النجش وهو الزيادة في سعر البضاعة دون نية الشراء، ومنع الاحتكار، ومراقبة السكة المتداولة من أجل حماية المستهلك من كل أنواع الغش في البيع، وجعل صاحب كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر من مهام صاحب السوق: إجبار أصحاب الحرف المستقدرة كالدباغة على عدم نشر الجلود والمواد الملونة على الطريق، كما أن لصاحب السوق تسليط العقوبات على المخالفين كالتوبيخ والزجر أولا، ثم الإنذار والسجن ثانيا، والضرب والتشهير ثالثا، والتنكيل والنفي من السوق والبلد رابعا.

وكان المحتسب يستعين بأعوان يساعدهونه يقلون ويكثرون حسب الحاجة، يقوم بتغييرهم باستمرار، وكذا توفير الأمن داخل السوق بواسطة الشرطة لحفظ الأمن والنظام والآداب العامة، وقطع دابر اللصوص داخل الأسواق، ففرضوا أقصى العقوبات على السارق كالسجن أو الجلد بالسياط.

4/تطور وتوسع مهام المحتسب: من أعمال وظيفة المحتسب ما يلي:

1- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوجيه النصح والإرشاد، بحسب الحاجة في الجماع العامة.

2- مراقبة المكاييل والموازن للتحقق من مطابقتها لما يجب أن يتكون عليه في مقاديرها.

²⁵⁸ - ابن الأثير: أسد الغابة (ص: 450)

²⁵⁹ - ابن خلدون: المقدمة، 281

²⁶⁰ - ابن خلدون: المقدمة، 281

- 3- مراقبة السلع المعروضة للبيع في الأسواق، للتحقق من سلامتها من الغش والتدليس، ومحاسبة الغشاشين، والمدلسين، وتأديبهم ومعاقبتهم ضمن حدود النظام²⁶¹.
- 4- مراقبة المصنوعات المتفق على صنعها بين العامل ومن صنعت له، والنظر في مدى مطابقتها للشروط المتفق عليها، وسلامتها من الغش والتدليس، ومحاسبة المخالف، وحل عقد المنازعات.
- 5- مراقبة النقود والأثمان المختلفة للتحقق من سلامتها من الغش والتزوير.
- 6- حل الخلافات والمنازعات في المعاملات المختلفة، والعقود، بما يتفق مع أحكام الفقه الإسلامي، ما لم تكن من القضايا الكبيرة التي تحتاج إلى قاض يفصل فيها.
- 7- الضرب على أيدي الخونة واللصوص والغشاشين والمجاهرين بالفسق والرذيلة ومخالفة أحكام الدين.
- 8- منع حدوث كل مخالفة شرعية، ومنه منع تلقي الركبان قبل توريدهم سلعهم إلى أسواقها، وعرضها على الجميع دون تخصيص ولا تمييز، ومنه منع الاحتكارات التي ترتفع بها أسعار السلع، ومنع إنشاء البيع والشراء إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة، ومنع التعامل بالربا، ومنع بيع الأشياء المحرمة شرعاً، كالخمر، ولحوم الخنازير، والأوثان، والصور المحرمة، والمعازف.
- 9- مراقبة الصناعات الغذائية والدوائية، للتحقق من خلوها مما يضر بالناس، وللتحقق من مطابقتها لما يجب أن تكون عليه من موادها، وفي طريقة صنعها وفي نظافتها ونظافة الأدوات التي تصنع فيها، ونظافة الأماكن التي توضع فيها.
- 10- مراقبة أسعار السلع بحسب درجاتها جودة أو دون ذلك حتى أحسن الدركات²⁶².
- 11- مراقبة الطهارة والنظافة في المآكل والمشرب والملابس والأماكن، ومراقبة مياه المساجد والأماكن العامة كالسبل والخزانات والبحيرات، ومراقبة مياه الأقبية، ونظافة المراحيض المعدة للطهارة وقضاء الحاجات الطبيعية، ومراقبة الأنهار ومجري المياه، ومنع الناس من تعريضها للأوساخ والقذارات.
- 12- منع الناس من كشف العورات، ومن التبول والتغوط في الطرقات، وفي كل مكان لا يصح فيه ذلك، لما فيه من الأذى.
- 13- منع النساء من اتباع الجنائز، ومن زيارة القبور، ومن الخروج إلى الأماكن العامة سافرات، ومن الخروج إلى المنتزهات العامة إلا مع ذي محرم.

²⁶¹ - عبد الرحمن بن حسن حَبْنَكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ): الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولحاث من تأثيرها في سائر الأمم، الناشر: دار القلم- دمشق، الطبعة: الأولى، 1418هـ-1998م، (ص: 632)

²⁶² - الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولحاث من تأثيرها في سائر الأمم (ص: 633)

14- منع اختلاط الرجال بالنساء، وفي الأعراس والمآتم أو في الأسواق والمجامع العامة، وغير ذلك، مراعاة لأحكام الشرع.

15- منع الناس من كل ما يضيق على المارة طرفهم، أو يؤذيهم بأثرية وأحجار أو قممات، أو قاذورات، أو مياه تصب من الميازيب أو غيرها.

16- منع الناس من إحداث أبنية في الطرقات، أو إحداث شرفات، أو إحداث أسقف على الطرقات تؤذي المارين فيها، أو نحو ذلك مما ليس للباقي فيه حق شرعي.

إلى أمور كثيرة تصدر بها تعليمات وبيانات من الإدارة الحاكمة، المنوطة بها مراقبة أمور الدين والدنيا التي تقتضيها أسس الحضارة الإسلامية، والآداب الاجتماعية العامة، أو تقتضيها الحقوق والمصالح العامة²⁶³.

111/ أشهر أنواع المخالفات والغش في أسواق المغرب الأوسط والتصدي لها:

1/ أشهر أنواع المخالفات والغش في أسواق المغرب الأوسط: منها قيام بعض الجزائر بالغمس في اللحم بتلمسان فيخلطونه بالكرش والمصران والشحم على قدر كثرة الثمن وقلته، وحسب حال المشتري ووضعيته الاجتماعية، ومنها كذلك أن بعض الباعة يشترون السلعة بثمن معلوم ويكذبون ويزيدون في ثمنها فوق قيمة الربح المعلوم، ومنها كذلك تزوير مكان صنع المنتج، فقد ذكر ابن الحاج أن بعض تجار القماش ينسبون إلى بلد غير البلد الذي صنعت فيه أو أتت منه، أو ينسب ثوب صانع ما إلى صانع اشتهر بصنعه، حتى صار الناس يتغالون في الثوب المنسوب إليه، فيبيع بذلك عمل غيره وينسبه إليه، وإن كان مثله أو أحسن منه وكذلك من أنواع المخالفات عدم اتباع قواعد النظافة حيث ذكر ابن الحاج في بعض عادات أصحاب الأفران أنهم يتكون عجين الخبز دون تغطية ليخمر فتمشي عليه الخشاش، حتى تجد في خبزهم أشياء مستقدرة كالحلفاء والشعر والحصى والذباب، وكان بعضهم في زمن الحر يتساقط العرق منهم على العجين، فذكر أبو عبد الله الماللي أن شيخه سيدي محمد بن يوسف السنوسي كان لا يأكل في الغالب من الخبز إلا فتاته ولا يأكل قشره

2/ تصدي المحتسبين لمختلف أنواع الغش في أسواق المغرب الأوسط

أشار ابن الصغير إلى وجود صاحب الشرطة في عهد الأمام عبد الوهاب بن أفلح، حيث كانت تسند إليه مهمة رعاية الأسواق وحفظها، قبل أن يظهر لقب المحتسب في المغرب الأوسط، وكانت من مهام قبيلة نفوسة إنكار المنكر في الأسواق، فقد اهتمت بوظيفة المحتسب كل الدول الإسلامية في المغرب الأوسط عند الرستميين والفاطميين والزيريين²⁶⁴ والزيبانيين، فكان نظام الحسبة زمن السلطان أبو حمو موسى الزياني الثاني [760-791هـ/1359-1389م] في أوجه تطوره، حيث أظهر السلطان أبو حمو عناية خاصة بالأسواق والمحتسبين، وكتب بذلك وصية لابنه أبي تاشفين الثاني [791-795هـ/1389-1392م] ضمن كتابه واسطة الملوك في سياسة الملوك، حيث أكد في الاعتناء بهذه الخطة وأصحابها، وكان حرصهم شديدا على وضع مكايل وموازين دقيقة ونموذجية بأسواق المدينة ويلزمون التجار التعامل بها، كمقياس الذراع الذي أمر به السلطان أبو تاشفين الأول [718-737هـ/1318-1337م] بتعليقه في سوق القيسارية بتلمسان.

²⁶³ - الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولحجات من تأثيرها في سائر الأمم (ص: 634)

²⁶⁴ - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 127

ومنها ما ذكره صاحب تحفة الناظر وغنية الذاكر حين قال: وأما منكرات الشوارع والطرق فمن ذلك ما كان في الأبنية ومنه ما كان في الطرق والأبنية ومنه ما كان في صفة المتصرفين والمتصرفات. فأما ما كان في الأبنية فكل ضرر عام تنال ضرورته الكفاة والدهماء كالحائط المائل فإنه إذا ترك على الإهمال ولم يقع في شأنه إنذار لمالكه ولا مسارعة بالزوال أدرك من وقوعه بغتة إتلاف الأنفس والأموال إلا أنه مقيد بضمان مالكه لما أتلّف بمجرد إنذاره في المشهور. وقيل من زيادة حكم الحاكم بعد الإنذار وقيل به مطلقاً مع عدمهما²⁶⁵.

وأما ما كان في الطريق والأبنية فمن ذلك اقتطاع شيء في محجة المسلمين وجادة طريقهم يزيداها المقتطع في ملكه جناحاً أو داراً أو غيرها فوق في سماع (....) المنع من ذلك وهدم ما بني في محل الاقتطاع والازدياد من الطريق واختلف المذهب هل ذلك على الإطلاق سواء أضر بالطريق وأحدث فيها ضيقاً ينقص عن ثمانية أذرع أم لا وإنما ذلك مخصوص بما تبين الإضرار فيه بالنقص عن العدد المذكور فالقول الأول هو الذي عليه الأكثر والقول الثاني قال الشيخ ابن رشد أظهر²⁶⁶.

وأما منكرات الأسواق الكائنة في عقود المعاوضات أو الغش في المبيعات أو غير ذلك مما يقضى به للعامة على الخاصة من الحالات أو في كل الأزمان والأوقات فمن ذلك ما يحصل في تركه وعدم المبالاة به لأهل الأسواق فساد أو انتقاص كتلقي السلع بظاهر البلد أو ببعض الأخصاص فيشتريها المتلقي بما يطلبه من الاسترخاص وليس له بها شرعاً دون غيره من المسلمين اختصاص أو كبيع الحاضر للبادي لإضاعة رزق الحاضر من البدوي²⁶⁷.

د/العملة والأسعار والمكاييل والأوزان

أ/العملة النقدية:

1/صك العملة: تقوم العملة على ضرب السكة الذي كان من اختصاص الدولة وتضع عليها علامة السلطان ونقشها لتمييزها عن غيرها من العملات المغشوشة، والإشراف على مراقبة وزنها حتى لا تتعرض للتزوير، ولفظ السكة يطلق في أصله على الطابع وهي الحديدية المتخذة لذلك، ثم نقل إلى أثرها وهي النقوش الماثلة على الدينانير والدراهم، ثم نقل إلى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصار علماً عليها²⁶⁸، ولذلك ذكرها ابن خلدون فقال: هي النظر في النقود المتعامل بها بين الناس، وحفظها مما يداخلها من الغش أو النقص إن كان يتعامل بها عدد أو ما يتعلق بذلك، ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود والاستجداء والخلوص برسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد اتخذ لذلك ونقش فيه نقوش خاصة به، فيوضع على الدينار بعد أن يقدر ويضرب عليه بالمطرقة حتى ترسم فيه تلك النقوش، وتكون علامة على جودته بحسب الغاية التي وقف عندها السبك والتخليص في متعارف أهل القطر²⁶⁹، وتكمن أهمية النقوش على السكة في كونها بما يميز المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات، ويتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش²⁷⁰.

²⁶⁵ - العقباني: تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر (ص: 62)

²⁶⁶ - تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر (ص: 64)

²⁶⁷ - تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر (ص: 88)

²⁶⁸ - ابن خلدون: المقدمة، ص322

²⁶⁹ - المصدر نفسه، ص281

²⁷⁰ - المصدر نفسه، ص323

وقد ووجدت دار السكة في بجاية منذ عصر الحماديين، حيث أن يحيى بن العزيز ضرب بها النقود سنة 543هـ/1051م²⁷¹، ثم ضربت بها أيضا العملة الموحدية، حيث أمر عبد المؤمن بن علي بصك ثمانية دنانير، وكذلك ابنه أبي يعقوب يوسف ضرب ستة دنانير وزن الواحد منها 35.2 غرام²⁷².

كما كان الفلوس النحاسي يضرب في بلاد المغرب الأوسط حتى نسب إليها مكان بالقرب من التنس يدعى قصر الفلوس²⁷³

2/ معادن صك العملة: ووجدت العملة من أنواع المعادن المختلفة، ف ضرب الدينار من الذهب، والدرهم من الفضة والفلوس من النحاس والبرونز، واشتهر بين التجار يتعاملون به، ويفضل الناس الذهب والفضة على سواهما من المعادن لسرعة استحابتها في السبك والطرق والجمع والتجزئة والتشكيل وفق الرغبة، مع حسن الرونق وعدم إطلاق الروائح والطعوم الكريهة، وقبولها العلامات التي تصونها، وثبات السمات التي تحفظها من الغش، فطبعوهما وثنوا بهما الأشياء كلها²⁷⁴.

-الدينار الذهبي: الدينار كلمة ترمز إلى قطعة ذهبية بشكل وزن معين تنقش عليها عبارات خاصة واسم الحاكم²⁷⁵، من أشهره في المغرب الأوسط الدينار الذي ضربه عبيد الله المهدي [297-322هـ/909-934م]، بالمهدية، وكان شكله مستدير يتراوح قطره بين 17مم و21مم، ووزنه بين 41غرام و4.15غرام، وكان عالي الجودة، وكتب على وجه الدينار: عبد الله-لا إله إلا الله-الله وحده-لا شريك له-أمير المؤمنين المهدي، وكتب على الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق، وكتب على ظهره: الأمام-محمد-رسول-الله-بالله، وكتب على الهامش: بسم الله ضرب هذا الدينار بالمهدية سنة سبع عشر وثلاث مائة²⁷⁶.

كما ضرب يزيد بن مخلد الكدادي دنانير باسمه، عشر على زير منها بضواحي القيروان احتوى على ثمانمائة قطعة ذهبية²⁷⁷. كما أن المعز بن باديس عندما قطع الدعوة الفاطمية أمر بتبديل السكة سنة 441هـ/1146-1147م، وضرب دنانير كثيرة، وأمر بسبك ما كان عنده من الدنانير قال ابن عذارى: وفي هذه السنة، أمر المعز بن باديس بتبديل السكة في شهر شعبان، فنقش على الأزواج في الوجه الواحد: ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. وفي الوجه الثاني: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وضرب منها دنانير كثيرة. وأمر أيضا بسك ما كان عنده من الدنانير التي عليها أسماء بني عبيد، فسبكت وكانت أموالا عظيمة، ثم بث في الناس قطع سكتهم، وزوال أسمائهم من جميع الدنانير والدراهم بسائر عمله، وقد كان قطع أسمائهم من الرايات والبنود²⁷⁸.

كما أن الحماديين ضربوا السكة باسمهم وأول من فعل ذلك منهم المنصور بن الناصر [454-481هـ/1062-1089م]، لكن أشهر ما وصل من سكتهم الدينار الذي ضربه يحيى بن العزيز سنة 543هـ/1051م، وكتب في الدينار ثلاثة سطور ودائرة في كل وجه، وكتب على دائرة الوجه آية قرآنية {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

²⁷¹-ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون (ج6/ 177)

²⁷²- عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة الجزائر، ص149

²⁷³- جودت عبد الكريم: الاوضاع الاقتصادية، ص177

²⁷⁴- جودت عبد الكريم: الاوضاع الاقتصادية، ص172

²⁷⁵- جودت عبد الكريم: الاوضاع الاقتصادية، ص174

²⁷⁶-صالح بن قرية: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ص287

²⁷⁷-جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص173

²⁷⁸- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (ص: 121)

يُظَلَّمُونَ (281) { [البقرة: 281]، وفي السطور: لا إله إلا الله محمد رسول الله ويعتصم بحبل الله يحيى بن العزيز بالله الأمير المنصور، والوجه الثاني كتب في دائرته: بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بالناصرية سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وكتب في الطور: الإمام أبو عبد الله المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين العباس²⁷⁹.

ومنها الدينار التي تضرب ببلد وارجلان دنانير على نوع المرابطية، لكنها نازلة فيها تحميل كثير، والدينار الورجلانية مشهورة²⁸⁰. كما ضرب الموحدون عملتهم بدار السكة في بجاية حيث ضربت بها أيضا العملة الموحدية، حيث أمر عبد المؤمن بن علي بصك ثمانية دنانير، وكذلك ابنه أبي يعقوب يوسف ضرب ستة دنانير وزن الواحد منها 35.2 غرام، وقد احتفظت الدراهم والدينار الموحدية بشكلها المربع منذ عهد ابن تومرت، كتبوا على وجهها: الله ربنا محمد نبينا المهدي إمامنا، وكتبوا على ظهرها: لا إله إلا الله محمد رسول الله الأمر كله لله تاريخ ومكان الضرب²⁸¹.

وقد كان للدينار أجزاء هي: النصف والربع والثلث²⁸² أو ثماني والسدس أو السداسي²⁸³. يستورد الذهب من السودان ويستخدم في المغرب الأوسط كما ذكر الحميري في صك النقود²⁸⁴ فيجعلونه دنانير ذهبية، وكذلك في صناعة الحلبي، وقد حمله معهم الفاطميون عند رحيلهم إلى مصر²⁸⁵.

- الدرهم الفضي: يختلف الدرهم عن الدينار في مادته فيصنع من الفضة فهو أقل قيمة من الدينار لأن الفضة أقل قيمة وارضخص من الذهب²⁸⁶، من أشهره في المغرب الأوسط درهم أبي القاسم محمد بن القائم بأمر الله [322-334هـ/934-954م]، وبلغ قطره 16م، ووزنه 1.40 غرام، وكتب على وجهه: محمد-أبو القاسم-لا إله إلا الله-الله وحده-لا شريك له- المهدي بالله، وكتب على الهامش: محمد رسول الله: أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكتب على ظهره: الأمام-القائم بالله - محمد-رسول الله-أمير المؤمنين، وكتب على الهامش: بسم الله مكان وسنة الضرب²⁸⁷.

وكان الدرهم الفاطمي له نصف الدرهم أو القيراط، وربع الدرهم، وثلث الدرهم أو الخروبة، والجزء السادس عشر من الدرهم²⁸⁸، وكان الدرهم متداول عند الرستميين بتيهت، وأشار البكري إلى دراهم تنس ونكور وأرشكول²⁸⁹، وكان درهم أرشكول يزن ثماني حراريت أي 1.488 غرام.

- الفلّس: ومنه البرونزي ضربه الرستميون بتيهت، وكتبوا على وجهها: ضرب هذا الفلّس بتيهت، وكتبوا على الظهر: مما أمر به راشد بن قادم، كما ضربه فلّس آخر بوليبي، وكتبوا على وجهه: ضرب هذا الفلّس بوليبي، وكتبوا على الظهر: مما أمر به راشد بن قادم²⁹⁰.

²⁷⁹-ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون (ج6/ 177)

²⁸⁰- الاستبصار في عجائب الامصار (1/ 224)

²⁸¹- عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة الجزائر، ص149

²⁸²-رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1977م، ص154

²⁸³- جودت عبد الكريم: الاوضاع الاقتصادية، ص175

²⁸⁴- الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار (ص611)

²⁸⁵-جودت عبد الكريم: الاوضاع الاقتصادية، ص225

²⁸⁶- جودت عبد الكريم: الاوضاع الاقتصادية، ص175

²⁸⁷-صالح بن قرية: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، ص287

²⁸⁸-رشيد بورويبة:، ص154

²⁸⁹- جودت عبد الكريم: الاوضاع الاقتصادية، ص175

²⁹⁰-جودت عبد الكريم: الاوضاع الاقتصادية، ص173

كما كان الفلّس النحاسي معروفا في بلاد المغرب حتى نسب إليها مكان بالقرب من التنس يدعى قصر الفلوس²⁹¹ ذكره اليقوي وقال: قرب وهران²⁹².

11/ الأسعار

تتدخل في تحديد قيمة السعر عدة اعتبارات كفاءة البضاعة وأهميتها، أو الجهد المبذول في إنتاج البضاعة، أو وفق حالة السوق الذي يخضع لقانون العرض والطلب²⁹³، وكما تتأثر الأسعار بمختلف الأحوال من خوف وأمن ومن وفرة وكثرة واختلال ونقص²⁹⁴، وكذلك فرض الضرائب والمكوس فهي تضاف إلى الأسعار، مما يؤدي إلى ارتفاعها، فيقل الطلب على السلع، فالضرائب غير الشرعية تثقل كاهل التجار، وتؤدي إلى ارتفاع الأسعار، وضعف القدرة الشرائية وكساد الأسواق²⁹⁵، قال ابن خلدون: يستحدث صاحب الدولة أنواعا من الجباية يضرها على البياعات، ويفرض لها قدرا معلوما على الأثمان في الأسواق، وعلى أعيان السلع في أموال المدينة... وربما يزيد في ذلك زيادة بالغة فتكسد الأسواق لفساد الآمال، ويؤذن ذلك باختلال العمران²⁹⁶ فهناك مؤثرات عديدة تؤثر في الأسعار هبوطا وارتفاعا، كوقوع أزمة اقتصادية وقلة الانتاج ووفرتة وإقبال الناس على البضاعة أو عدمه، وأحيانا كمية النقود المتداولة بين أيدي الناس ونسبتها إلى الانتاج، حيث تتوفر النقود في المدينة وتقل في الأرياف²⁹⁷. وصفت المصادر رخص الأسعار في بعض مدن المغرب الأوسط نتيجة لوفرة المنتوج، حيث ذكر صاحب الاستبصار أن الأغنام كانت تجلب من تاهرت إلى بلاد المغرب والأندلس لرخصها وطيب لحومها²⁹⁸، ومدينة وهران أهلها في خصب والعسل بها موجود وكذلك السمن والزبد والغنم والبقر بها رخيصة، ومراكب الأندلس إليها مختلفة²⁹⁹، ومدينة تنس بها الحنطة رخيصة جدا، وسائر الحبوب موجودة وتخرج منها إلى سائر الآفاق في المراكب³⁰⁰، وقلعة بني حماد من أعمها فواكه وخصبا وحنطتها رخيصة ولحومها طيبة، وتبقى بها الحنطة إلى سنتين، وبها من الفواكه والنعم شيء كثير كله رخيص، وبلادها وجميع ما ينضاف إليها تصلح فيها السوائم لخصبها، وإذا كثرت فلاحتها أغنت وإذا قلت كفت، وأهلها أبدا شباع وأحوالهم صالحة³⁰¹. وقد يؤدي في بعض الأحيان رخص الأسعار إلى كساد السلع، خاصة إذا طال زمن الرخص في سلعة من مأكول أو ملبوس أو متمول، ولم يحصل للتاجر حوالة الأسواق، فسد الرّيح والنماء بطول تلك المدة، وكسدت سوق ذلك الصنف، فقعد التجار عن السعي فيها وفسدت رؤوس أموالهم³⁰².

291- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 177

292- ياقوت الحموي أبو عبد الله بن عبد الله: معجم البلدان، دار الفكر - بيروت، (4/ 362)

293- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 157

294- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 158

295- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص 127، 131

296- ابن خلدون: المقدمة، ص 346

297- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 160

298- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 216-217

299- مقديس الصفاقسي: نزهة الأنظار، ص 78

300- نزهة الأنظار، ج 1، ص 77

301- نزهة الأنظار، ج 1، ص 81-82

302- ابن خلدون: المقدمة، ص 499

وقد ترتفع الأسعار في بعض الأحيان كما حصل بتلمسان زمن الشيخ أحمد بن حسن الغماري التلمساني، أبو العباس (874هـ/1469م) حيث حصل غلاء شديد حتى تعطلت الصلاة بسببه في كثير من المساجد³⁰³.

كما نقلت إلينا المصادر أسعار بعض السلع، من أسعار بعض الثياب بالقلعة حيث ذكر صاحب الاستبصار أنها تصنع بمدينة قلعة حماد أكسية ليس لها مثيل في الجودة والرقّة إلا الوجدية التي تصنع بوجدة؛ يساوي كساء عيد من عمل القلعة 30 دينارا³⁰⁴، وكذلك أسعار العمائم في بجاية، ووقال صاحب الاستبصار: كانت لملوك صنهاجة عمائم شرب مذهبة يغلون في أثمانها، تساوي العمامة الـ 500 دينار والـ 600 دينار وأزيد³⁰⁵، وبالقلعة أيضا ذكر الإدريسي ما كان متداولاً من بعض الأدوية مثل نبات الفوليون الحراي ويؤمنون أنه ينفع شرب درهمين منه لعام كامل³⁰⁶.

III/الأوزان:

1/تعريف الأوزان: الموازين هي ما يوزن به، وتتعدد وتتنوع حسب المواطن الذي تسود بها، فكل ما يباع ويشقى إما أن مكيل أو موزون أو مذروع أو مقدر بالزمان أو بالعدد، وهي أغلب الوحدات المستعملة في بيع السلع في مختلف الأسواق.

2/أنواع الموازين:

أما الأوزان أو الموازين فمنها: المثقال والدرهم والصنحة والأوقية والرطل والقنطار

—الرطل: يعتبر من أهم الموازين المستعملة ومن أشهرها في بلاد المغرب، ويختلف الرطل من منطقة لأخرى فيختص أهل تنس برطل، كما يختص أهل تاهرت برطل، وتختلف الأرتال فيما بينها أيضا فهناك رطل فلفلي الذي كان مقداره عند الفاطميين 478.125 غرام، ورطل لحم عند أهل تاهرت مقداره 23 كلغ، أما رطل أهل باغية فمقداره 9.56 كلغ، وهو عند أهل تنس 2.131 كلغ، كما استخدم الرستميون نصف الرطل ومقداره 190.40 غرام، وكذلك ربع الرطل³⁰⁷.

—المثقال: ذكر أن وزن المثقال يتناسب مع وزن الدينار، وهو يساوي تقريبا 5.30 غرام³⁰⁸.

—الدرهم: خص منه البكري بالذكر درهم تنس والذي يساوي 1.88 غرام، ودرهم أرشقول ويساوي 1.88 غرام أيضا، أما وزن الدرهم الشرعي فهو 2.975 غرام، كما ووجد ربع الدرهم³⁰⁹.

—الأوقية: ويختلف مقدارها من مكان لآخر، فذكر ابن حوقل أوقية تساوي 31.86 غرام، بينما ذكر المقديسي أوقية أخرى تقدر بـ 31.72 غرام، أما مقدار الأوقية الشرعية فهو متخلف عنهما ويساوي 119 غرام.

—الخروبة: ذكرت المصادر منها خروبة أشقول وبلغ وزنها 0.236 غرام

—القيراط: ذكرت المصادر أن قيراط أهل تنس بلغ وزنه 0.177 غرام

—المن: ويقدر وزنه بـ 773.5 غرام³¹⁰

³⁰³—ابن مريم: البستان، ص42

³⁰⁴— مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986 م، (ص170)

³⁰⁵— الاستبصار في عجائب الامصار (ص 129)

³⁰⁶— زهبة المشتاق في اختراق الآفاق (ص: 77)

³⁰⁷—جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص179-180

³⁰⁸—جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص181

³⁰⁹—جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص181-182

³¹⁰—جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص182

_القنطار: هو من أشهر الموازين المستعملة بتاهرت، حيث استعملوا نوعين منه، قنطار الزيت ويساوي 82 كلغ، وقنطار الفلفل وزنه 35.47 كلغ، وفي أماكن أخرى بلغ وزنه 49 كلغ.

الصنح: هو قطعة مستديرة بقدر الدرهم، يستخدم في وزن النقود، كما يستخدم في وزن المجوهرات، وتصنع من الزجاج، ووجد منها صنح الخليفة الفاطمي الحاكم الذي كان يستعمل بقلعة بني حماد³¹¹.

تصنع مختلف الأوزان من الرصاص، وتطبع باسم الحاكم الذي ضربت في دولته، وتجدد ويعاد طبعها أحيانا، ويعاقب من يتلاعب بها ويغش فيها من طرف المحتسبين، فمن مهامهم:

_تحديد مواصفات الميزان الصحيح والعدل والبرئ من الغش، قال الماوردي: أصح الموازين وضعها ما استوى جانباه واعتدلت كفتاه وكان ثقب علاقه في وسط العمود³¹².

_مراقبة نوعية المادة التي تصنع منها أرطال وأواقي الوزن، بأن تكون مادة ثابتة لا تنقص ولا تتآكل بقرع بعضها بعضا، يقول الشيتري: وينبغي للبائع أن يتخذ الأبطال والأواقي من الحديد وتعير على الصنح الطيارة (الصنح المحفوظة عند المحتسب لتعير عليها الصنح الأخرى)، ولا يتخذها من الحجارة³¹³.

_منع البائعين من اتخاذ الموازين والأبطال والدرهم القريبة من بعضها في الميزان كثلث رطل وثلث أوقية وثلث درهم، لمقارنته لنصف رطل ونصف أوقية، واحتمال الوزن به عند كثرة المشترين³¹⁴.

_مراقبة الباعة في اتباع طريقة الوزن الصحيحة والعدالة البعيدة عن الغش، قال الماوردي: وينبغي إذا شرع في الوزن أن يسكن الميزان ويضع فيه البضاعة من يده في الكفة قليلا قليلا، ولا يهزم الكفة بإهمامه، فإن ذلك كله بخس، وينبغي أن تكون موازين الباعة معلقة، ولا يمكن المحتسب أحد من الباعة أن يزن بميزان الأبطال في يده³¹⁵.

|||/ المكاييل: استعمل في بلاد المغرب أنواع عديدة من المكاييل، وهي تختلف من قطر لآخر ومن مدينة لأخرى، ومن أشهرها: المد-المدى-القفيير-الربع-الثلث-الصاع-القلبة-الويبة-الوسق-الصحفة-القادوس-الكر-القسط-المطيرة-القلة الحفنة.

_المد: يعتبر من أشهر المكاييل وأوسعها استعمالا، وقد استعمل أهل تاهرت مدا مقداره 419.386 كلغ³¹⁶

_المدى: ويقدره البعض بـ672 رطل

_القفيير: يستخدم أساسا في كيل السوائل كالزيت، وكذلك في كيل الحبوب، ومن أشهرها المتسعملة في بلاد المغرب قفيير الزيت بالقيروان الذي يساوي 204 مدا نبويا، وله أجزاء كنصف القفيير، وربعه يساوي 88.383 كلغ، وربع النصف يساوي

44.181 كلغ³¹⁷

_الربع: ويقدر وزنه بـ6.85 كلغ

_الثلث: ويقدر وزنه بـ10.398 كلغ³¹⁸

³¹¹ -جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص183

³¹² - بيلي إبراهيم أحمد العلمي: العناية بالتجارة في الاقتصاد الإسلامي، المرجع نفسه، ج2، ص703

³¹³ - بيلي إبراهيم أحمد العلمي: العناية بالتجارة في الاقتصاد الإسلامي، المرجع نفسه، ج2، ص704

³¹⁴ - بيلي إبراهيم أحمد العلمي: العناية بالتجارة في الاقتصاد الإسلامي، المرجع نفسه، ج2، ص705

³¹⁵ - بيلي إبراهيم أحمد العلمي: العناية بالتجارة في الاقتصاد الإسلامي، المرجع نفسه، ج2، ص705-706

³¹⁶ -جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص184

³¹⁷ -جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص185-186

الصاع: ويساوي أربعة أمداد أو خمسة أرطال وثلث

القلبة: وتساوي أربعة أرباع كل ربع يساوي 4 كلغ

الووية: تستخدم في كيل الحبوب وتساوي 25.5 مدا نبويا³¹⁹

الوسق: ويقدر وزنه بـ130 كلغ

الصحفة: خص البكري بالذكر صحفة تنس وتساوي 144 مدا نبويا، ومنها كذلك صحفة نكور التي تساوي 12.5 مدا نبويا

القادوس: ذكر البكري بتنس قادوس مقداره 3 أمداد نبوية³²⁰

الكر: يستخدم في كيل الحبوب ومقداره 12 وسقا أو 720 صاعا

القسط: يستخدم في كيل السوائل ويساوي نصف صاع

المطيرة: يساوي 16 رطلا فلفليا

القلة: تساوي 45 رطلا فلفليا

الحفنة أو القبضة: تساوي ملء كف رجل معتدل³²¹

المحور الثاني: الحرف والصنائع في المغرب الأوسط

أولا: تعريف الحرفة ونشأتها وتطورها وأهميتها

أ/تعريف الحرفة:

اللغة: الاسم الحرفة، وحرفة الرجل ضيعته أو صنعته، وحرف لأهله يحرف واحترف كسب وطلب واحتال، وقيل الاحتراف

الاكتساب أيا كان³²²، قال الأصمعي: هو يحرف لعياله: يكسب من هاهنا وهاهنا مثل يغرف، وفي «الصحاح» المحترف:

الصانع، وأحرف الرجل فهو محرف: إذا نمي ماله وصلح³²³.

الإصطلاحا: يمكن من خلال التعريف اللغوي أن نعرف الحرفة بأنها الصنعة التي يمارس الرجل بها عمله ويكتسب من خلالها ماله

وقوته.

³¹⁸-جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص186

³¹⁹-جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص187

³²⁰-جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص188

³²¹-جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص189

³²²- بن سيده المرسي أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (458هـ): المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية بيروت، 2000م،

(ج3/307)

³²³- الخزاعي أبو الحسن ابن ذي الوزارتين علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود، (789هـ): تخریج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف

والصنائع والعمالات الشرعية، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت، 2، 1419 هـ، (ص775)

ب/أنواع الحرف ومكان وجودها

أ/ أنواع الحرف والصنائع: منها نوعين: الحرف والصنائع الضرورية كالفلاحة والبناء والخياطة والحياكة³²⁴ والحرف والصنائع الشريفة: كالتوليد والكتابة والوراقة والغناء والطب³²⁵، وكل هذه الصنائع الثلاث داع إلى مخالطة الملوك الأعظم في خلواتهم ومجالس أنسهم، فلها بذلك شرف ليس لغيرها³²⁶.

أ/أماكن وجودها

1/ الحرف والصنائع والمهن في البوادي والأرياف: تقل وتنقص الحرف في البوادي والأرياف قال ابن خلدون: تجد الصنائع في الأمصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد منها إلا البسيط³²⁷، بسبب قلة الطلب على منتجات أصحاب الحرف في البوادي.

2/ الحرف والصنائع والمهن في الحواضر والمدن: تكثر الحرف والصنائع في الحواضر الكبرى والمدن، حيث تجد الإقبال الشديد على مختلف المنتجات، فيزداد الإقبال على تعلم وممارسة مختلف الحرف والمهن، قال ابن خلدون: تجد الصنائع في الأمصار الصغيرة ناقصة، فإذا تزايدت حضارتها ودعت أمور الترف فيها إلى استعمال الصنائع³²⁸ تكاثرت، ورسوخ الصنائع في الأمصار برسوخ الحضارة وطول أمده، وهذا كالحال في الأندلس لهذا العهد، فإننا نجد فيها رسوم الصنائع قائمة وأحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو إليه عوائد أمصارها، كالمباني والطبخ وأصناف الغناء واللهو من الآلات والأوتار والرقص وتنضيد القُرش في القصور، وحسن الترتيب والأوضاع في البناء، وصوغ الآنية من المعادن والخزف وجميع المواعين وإقامة الولائم والأعراس وسائر الصنائع التي يدعو إليها الترف وعوائده، فنجدهم أقوم عليها وأبصر بها، ونجد صناعتها مستحكمة لديهم، فهم على حصة موفورة من ذلك، وحظ متميز بين جميع الأمصار³²⁹، ثم قال: فالإنسان لا يقع عمله مجانا، لأنه منه كسبه وبه معاشه، فلا يصرف عمره إلا فيما له قيمة في مصره ليعود عليه بالنفع، وإن كانت الصناعة مطلوبة وتوجه أهلها النفاق، كانت حينئذ الصناعة بمثابة السلعة التي تُنفق سوقها وتجلب للبيع، فتجتهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة، ليكون منها معاشهم³³⁰.

³²⁴- ابن خلدون المقدمة، ص 508

³²⁵- المصدر نفسه، ص 508

³²⁶- ابن خلدون المقدمة، ص 509

³²⁷- ابن خلدون المقدمة، ص 502

³²⁸- ابن خلدون المقدمة، ص 502

³²⁹- ابن خلدون: المقدمة، ص 503-504

³³⁰- ابن خلدون المقدمة، ص 505

ج/أشرف الحرف والصنائع: ويسمها ابن خلدون الحرف والصنائع الضرورية: كالفلاحة والبناء والخيطة والحياكة³³¹، فهذه الحرف تكمن أهميتها في كون قيام حياة أهل الحضر والبدو عليها، فهي مرتبطة بالحاجات اليومية للإنسان، إذ بالفلاحة والزراعة يتوفر الغذاء الضروري، وعن طريق البناء تشيد المساكن والمباني المختلفة الضرورية، وعن طريق الخياطة يتوفر اللباس والغطاء الضروري.

ثانيا/ تنظيم الحرف ومختلف المهن: يأتي الاهتمام بالتنظيم الحرفي من منطلق الغايات السياسية والجبائية التي يوفرها التنظيم الحرفي على مستوى التحكم في هيكل الظاهرة البشرية الحرفية عبر رؤوسها المحركة لها وما تستوجبه ضرورات السياسة الجبائية من حزم في إخضاع المنتجين عبر المساهمة في ملء خزينة السلطان وتغطية نفقات مشاريعه العمرانية والعسكرية، والعصر الزياني عرف أشكال متنوعة من التنظيمات الحرفية متمثلة في: أمناء الحرف والورشات الحرفية الكبرى وصغار الحرفيين والورشات الحرفية التجارية³³².

أ/الأمناء أو العرفاء: يشرف على كل مهنة عرفاء أو نقباء أو أمناء، وحتى يختار الرجل اللائق بكل حرفة أو مهنة يجب أن يكون العرفاء والنقباء أمناء تقاة³³³، وظيفتهم الإشراف والتنظيم والتبليغ قال في "تنبيه الحكام" ينبغي للحاكم إذا خاف أن تتعذر عليه الإحاطة بحفظ الحوائم والأسواق وشوارع المسلمين ومجتمعاتهم من وقوع المناكر وتعرف ما يعرض في ذلك من النوازل أو خشي أن يتشاغل عن البحث والكشف والنظر في ذلك بما يشغله من أمور المسلمين والنظر في مصالحهم أن يختار أميناً عدلاً أو أمناء عدولاً عارفين بذلك يتفقدون ما حمل إليهم من حفظ الحوائم ويرفعون إليه ما يتعذر عليه النظر فيه من ذلك وأن أفرد لكل سوق وحومة أميناً ينظر في ذلك فعل بحسب اجتهاده وحاجة الناس إلى ذلك بوجود القائم به فإن ذلك من التعاون على الخير الواجب على كل مسلم³³⁴.

فقد نظم أرباب الصنائع أنفسهم في تخصصات فرعية، كصانعي القوارير الزجاجية والأواني الفخارية والخزفية، وكذلك الصناعات المعدنية، فكان على رأس كل حرفة أو طائفة من الحرفيين شيخ الطائفة أو عريف³³⁵.

وخلال العهد الزياني أقرت الدولة نظام الأمناء كي يسهل عليها التحكم في الصناع وأهل الحرف ومن ثمة الانتفاع بهم في الشدائد والضرورات، ومن هنا كانوا واسطة السلطة في الهيمنة على الصناع وأهل الحرف ولسان حالهم عند السلطان والأداة المحركة

³³¹-ابن خلدون المقدمة، ص508

³³²- الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2017م، ص185

³³³- محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر (639-733هـ): تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، تح: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الثقافة قطر، 1408هـ/1988م، (ص144)

³³⁴- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني (871هـ/1467م): تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي الشنوفي، المعهد الثقافي الفرنسي - دمشق، 1967م، (ص29)

³³⁵- كمال صادقي: الصناعات الحرفية بالمغرب الأوسط في عهد بني حماد(398-547هـ/1007-1152م)، رسالة ماجستير، إشراف: إسماعيل سامعي، جامعة الأمير عبد القادر، 1427-1428هـ/2006-2007م، ص139

هذه الجموع في إنجاز مشاريع السلطان العمرانية وفي تنفيذ سياسته لاحتواء الشرائح الحرفية، وحسبنا تلك الأدوار التي قام بها الأمناء في تنفيذ مشاريع أبي الحسن المريني العمرانية سنة 737هـ/1336م بمدينة تلمسان وقسنطينة والجزائر وتنس وهنين، وفي تبليغ سياسته إلى الصناع والحرفيين لقول ابن مرزوق الخطيب: «وكتب للبلاد بإيضاء الأمناء على الصناع من أهل كل صناعة»⁽³³⁶⁾.

ب/الورشات الحرفية الكبرى: وهي التي كانت ملكا للبيوتات الكبيرة وتتخذ من دروب المدينة ميدانا لنشاطها، حيث الدرب ذاته يكون ملكا للبيت الذي يمتلك الورشة، ويشرف على العمل في الورشة كبير البيت، كان قد اكتسب الحرفة وانتقلت إليه من أبيه عن أجداده وفي الورشة يوظف كبير البيت الصناع المهرة وهم أجراء عنده ويساعدهم في الأعمال الخدم، وغالبا ما يكونون من المملوكين لكبير البيت، أما وظيفتها الاقتصادية فهي الدفع بالإنتاج إلى أسواق إفريقية والمغرب الأقصى والأندلس⁽³³⁷⁾، وعند ذكر ابن سعيد تلمسان قال: وهي الآن قاعدة بني عبد الواد من زناتة. ومنها تحمل ثياب الصوف المفضلة على جنسها المصنوع في سائر المغرب³³⁸

فهذا بيت النجار بتلمسان وقد اختص أهله في عمل الحياكة من الصوف الرفيع كان يدير ورشتهم كبير بيتهم أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن النجار «كانت له تربيعة بموضعه من درب شاكر، وكان أكثر هذا الدرب له ولعماله وخدامه، وكان له داخل الدرب درب يختص به، فيه دوره ودور بنيه»⁽³³⁹⁾.

وكذلك بيت ابن حسين كانوا يتحرفون بصناعة الخراط وشبهه ونظرا لجودة منتوجات هذه الورشات الحرفية الكبرى، كان ملوك بني مرين وبني حفص يقتنونها ويلبسونها، قال ابن مرزوق الخطيب: «وملوك إفريقية والمغرب إنما يلبسون حينئذ ما كان يعمل بتلمسان من رفيع الصوف»⁽³⁴⁰⁾، أما سلاطين بني زيان فقد كانوا يتفاحرون بعمل الحياكة من الصوف التلمسانية في هداياهم إلى الملوك كحرفة رائدة في بلادهم ورغم أن الحفصيين حاولوا جهدهم تطوير حرفة الملابس الصوفية لمنافسة المنتوجات الزيانية إلا أنهم أخفقوا في ذلك فقد بعث المستنصر الحفصي إلى السلطان الزياني بهدية من ثياب الصوف وزنه خمسة أوقي ونصف، فصنعت ورشة ابن النجار ثوبًا يزيد طولاً وعرضاً نصف شبر وينقص أوقية ونصف أوقية⁽³⁴¹⁾.

⁽³³⁶⁾ الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص 185-186

⁽³³⁷⁾ الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص 186

³³⁸ - ابن سعيد المغربي ت 685هـ/1287م: الجغرافيا (ص 34)

⁽³³⁹⁾ الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص 186-187

⁽³⁴⁰⁾ الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص 187

⁽³⁴¹⁾ - الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص 187

وإلى جانب الوظيفة المزدوجة لهذه الورشات في الحرف والتجارة ، كان أربابها يقومون بواجبهم الاجتماعي والثقافي والعملي فقد كان الدين والعلم من الركائز الثابتة في مكونة هذه البيوتات وحسبنا أن عبد الرحمن بن محمد النجار صاحب ورشة الحياكة كان «وجهًا سرّيًا موسعًا عليه كثير الصدقات وأعمال البر، له جرايات على الطلبة وأهل الدين والخير»⁽³⁴²⁾

ج/صغار الحرفيين: ويتألف هذا التنظيم من المعلم ومناوله، فأما المعلم فهو صاحب رأس المال الملم بأسرار الحرفة، والذي جعله حذقه في الصناعة يباشر العمل اليدوي كي يكون قدوة لصناعته، في حين يمثل عمل المناول في مساعدة معلمه في محله، وفي كثير من الحالات يكون المناول غلامًا مبتدئًا يتقدم إلى محل الصنعة ليتعلم ويتقن الصنعة⁽³⁴³⁾ ، كما حصل مع الفقيه أحمد بن زكري وهو غلام فقد نشأ يتيما، وتعلم الحياكة فاستؤجر للعمل بنصف دينار في الشهر³⁴⁴ ، فكان في أول أمره حائكا فدفع له شيخه ابن زاغو غزلا ينسجه له، ثم إنه حضر عند ابن زاغو يطلب منه غزلا يكمل به فوجده يدرس ويقرر قول ابن الحاجب، وخرج في الجميع قولان فأشكل معناه على الطلبة وعسر عليهم فهمه، فقال له ابن زكري: أنا فهمته ثم قرره أحسن ما ينبغي فقال له الشيخ مثلك يشتغل بالعلم لا بالحياكة³⁴⁵.

وعادة ما كان صغار الصناع يتمركزون في الأسواق المتخصصة في المبيعات التي يقومون هم بصناعتها، وبعضهم في قيساريات مختصة في بيع مصنوعات معينة بلواحقها، كبيع القماش بأنواعه والكتان والقطن والصوف⁽³⁴⁶⁾.

د-الورشات الحرفية التجارية: وهي التي يمتلك أصحابها إلى جانب الورشات الحرفية محلات تجارية يبيعون فيها منتوجهم الحرفي، وهي موزعة بين الحارات والأزقة عكست نوع الحرفة بحيث يكون كل أصحاب حرفة واحدة بمكان واحد، وتسمى بنوع الحرف التي تمارسها، وحرفيوها هم في نفس الوقت تجار، ولذلك سميت الأسواق حسب هذا التنظيم فوجدت بتلمسان أسواق للعطارين والحدادين والدباغين والصباعين والألبسة والنسيج⁽³⁴⁷⁾ ، ويعد هذا النوع من الورشات من المظاهر الحرفية الموروثة عن العهد الموحدى، فقد كان الجد الخامس لأبي عبد الله محمد الرصاع صاحب كتاب: "الفهرست" ورشة صناعية ومحلات تجارية، وهو من

⁽³⁴²⁾الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص 187.

⁽³⁴³⁾الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص188، نقلا محمد حسن: التجار والحرفيون ضمن المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، القسم الأول، إعداد مجموعة من الباحثين، تنسيق عبد الهادي التيمومي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة 1999. ص 75.

³⁴⁴ - الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (1396هـ):الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، - أيار / مايو 2002م، (ج1/ 231)

³⁴⁵ - أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكي السوداني(1036 هـ): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، ط2، 2000 م، (ص129-130)

⁽³⁴⁶⁾الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص188، نقلا عن بلهوارى فاطمة: التكامل الاقتصادي والمبادلات التجارية بين الدول المغاربية خلال العصر الوسيط، ط1، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2010، ص 89.

⁽³⁴⁷⁾ - الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص188، نقلا فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني ، ج2، ص215.

قام بترصيع ضريح أبي مدين شعيب ت594هـ/1192م بعباد تلمسان⁽³⁴⁸⁾. ويبدو أن هذه الورشات استمرت بتلمسان إلى عصر حسن الوزان ت947هـ/1550م لقوله: «وجميع الصنائع والتجارات بتلمسان موزعة على مختلف الساحات والأزقة»⁽³⁴⁹⁾.

ثالثا/حرفة الفلاحة:

ا/تعريفها ونشأتها وأهميتها

1/تعريفها: هي اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها، بزراعتها وعلاج نباتها وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته، ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه.

2/أقدميتها: هي أقدم الصنائع لما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالبا، إذ لا يمكن وجوده من دون القوت.

3/بداوتها: اقتصت هذه الحرفة بالبدو، فكانت بدوية لا تقوم عليها الحضرة ولا يعرفونها³⁵⁰

4/أهميتها: جعلها ابن خلدون على رأس المهن الضروري فقال: كالفلاحة والبناء والخياطة والحياكة³⁵¹

ا/أشهر المنتجات الفلاحية بالمغرب الأوسط:

1/الحبوب: أما مدينة تلمسان فقد وصفها بعض الرحالة بكثرة الزرع وشجر الزيتون والتين والعنب، والغالب عليها ثمار الزيتون وثمر الغدان (نوع من التين)...³⁵²، ولها نحر يأتيها من جبلها، يمر شرقي المدينة، وعليه أرحاء كثيرة، وما جاورها من المزارع كلها تسقى منه، وغلاتها ومزارعها كثيرة، وفواكهها جمّة وخيراتها شاملة ولحومها سميّة، وبالجملة فهي حسنة لرخص أسعارها ونفاق أشغالها وريح تجارتها³⁵³، وبالقرب منها قرية عين الصفصاف بها فواكه كثيرة وزروع ونعم دارة، ومدينة يل لبها عيون ومياه كثيرة وفواكه وزروع، وبلادها جيدة للفلاحة وزروعها نامية³⁵⁴، أما مدينة تنس فبها فواكه وخصب، ولها أقاليم وعمارات وأعمال وزروع، وبها الحنطة رخيصة جدا، وسائر الحبوب موحودة وتخرج منها إلى سائر الآفاق في المراكب، وبها من الفوكة كل طريفة، ومن السفرجل الطيب ما يفوت الوصف³⁵⁵، وفواكهها جمّة وخيراتها شاملة ولحومها سميّة، وبالجملة فهي حسنة لرخص أسعارها ونفاق أشغالها وريح تجارتها³⁵⁶ وكذلك مدينة برشك لها مياه جارية وأبار معين وبها فواكه حسنة غزيرة وسفرجل معنق كالقرع الصغار وهو طريف وأعنان الغالب على أهلها البربر ولها بادية يشتررون العسل من الشجر والأجباح لكثرة النحل بالبلد وأكثر أموالهم الماشية ولهم من

⁽³⁴⁸⁾ الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص 189

⁽³⁴⁹⁾ الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص 189

³⁵⁰ -ابن خلدون المقدمة، ص 509

³⁵¹ -ابن خلدون المقدمة، ص 508

³⁵² -ابن الصباح: أنساب الأخبار، ص 95-97

³⁵³ -نزهة الأنظار، ج 1، ص 75

³⁵⁴ -نزهة الأنظار، ج 1، ص 77

³⁵⁵ -نزهة الأنظار، ج 1، ص 77

³⁵⁶ -نزهة الأنظار، ج 1، ص 75

الزراع والحنطة والشعير ما يزيد على حاجتهم³⁵⁷، وكذلك وهران ماؤها من عين ماء جارية بها وغلاتهم من القمح والشعير والمواشى عندهم كثيرة³⁵⁸، وكذلك المسيلة لها مزارع ممتدة أكثر مما يحتاج إليه ولأهلها سوائم خيل وأغنام وأبقار وحنات وعيون وفواكه وبقول ولحوم ومزارع فطن وقمح وشعير³⁵⁹، أما قلعة بني حماد فقد اشتهرت بالحبوب فهي من أعمها فواكه وخصبا وحنطتها رخيصة ولحومها طيبة، وتبقى بها الحنطة إلى سنتين³⁶⁰، وكذلك قسنطينة فالحنطية تقيم بها في مطامير مائة سنة لا تفسد، والعسل بها كثير، وكذلك السمن يتجهز بهما إلى سائر البلاد، وهي مطلة على فحوص متصلة بها ولها مزارع الحنطة والشعير ممتدة في جميع جهاتها³⁶¹.

وقد احتوت مختلف مدن المغرب الأوسط على الأرحية التي كانت تستخدم في طحن الحبوب، والمخازن لتخزينها، ففي تلمسان نهر يأتيها من جبلها، يمر شرقي المدينة، وعليه أرحاء كثيرة³⁶²، وكذلك مدينة مليانة لها نهر يسقي أكثر زروعها وحدائقها وجناتها وعليه أرحاء، ولأقاليمها حظ من سقي نهر شلف³⁶³، وقلعة بني حماد كانت تخزن بها الحنطة وتبقى بها الحنطة إلى سنتين³⁶⁴، وكذلك احتوت قسنطينة على مطامير لتخزين الحنطة وتقيم بها في مطامير مائة سنة لا تفسد³⁶⁵.

وقد عرف القائمون على هذه الصناعة بالطحانيين الذين يطحنون للأهالي ولأصحاب الأفران³⁶⁶، فعرفت القلعة هذه الصناعة، وكان أحد أشخاص يدعى عبد الرحمان الفلاني قد شارك الفقيه ابن العتاب بمدينة القلعة في شركة إنتاج المطاحن والرحى³⁶⁷، وكان أصحاب هذه الحرفة يصنعون المطاحن من الحجارة ففي فتاوى البرزلي نازلة وقعت بين المشتري والبائع في أسواق مدينة قلعة بني حماد إذا اطلع المشتري على المطحنة وإذا علم البائع بترتيبها (مصنوعة من الحجر المحفوظ بالتراب) وإن كانت مشقوقة ردها على كل حال³⁶⁸.

كما تصنع من المعادن كالنحاس والحديد، تباع في أسواق القلعة وتصدر إلى خارج المدينة،³⁶⁹ وكانت هذه الحرفة كذلك في بجاية التي احتوت على حرفيين مختصين في صناعة الرحى³⁷⁰.

³⁵⁷ - أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلبي، (المتوفى: بعد 367هـ): صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، 1938 م، (ج1/ 77)

³⁵⁸ - صورة الأرض (1/ 77)

³⁵⁹ - الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (1/ 254)

³⁶⁰ - نزهة الأنظار، ج1، ص81-82

³⁶¹ - نزهة الأنظار، ج1، ص83-84

³⁶² - نزهة الأنظار، ج1، ص75

³⁶³ - نزهة الأنظار، ج1، ص80-81

³⁶⁴ - نزهة الأنظار، ج1، ص81-82

³⁶⁵ - نزهة الأنظار، ج1، ص83-84

³⁶⁶ - يحيى بن عمر الأندلسي: أحكام السوق والنظر والاحكام في جميع أحوال السوق، تق محمد العمراوي، ط، د م ط، د د ن، 2012م، ص59.

- كمال صادقي، الصناعة الحرفية في المغرب الأوسط في عهد بني حماد، ص143³⁶⁷

³⁶⁸ - ابو القاسم البرزلي: فتاوى البرزلي جامع مسائل الاحكام لما نزل من القضايا بالمفتي والاحكام، ط1، تح الحبيب الهيلة، دار الغرب الاسلامي، 2002م، ج4، ص156.

³⁶⁹ - المقدسي، أحسن التقاسم، ط2، ص288.

³⁷⁰ - عمار عمورة، المرجع السابق، ص122.

2/ الفواكه: اشتهرت بإنتاج التين بلدة بالقرب من تلمسان تسمى بلدة التين بلدة صغيرة حسنة كثيرة شجر التين، يعمل بها من التين شرائح مثل الطوب وبذلك تسمى، ويحمل منها إلى كثير من الأقطار³⁷¹.

أما مدينة تنس فيها من الفوكه كل طريفة، ومن السفرجل الطيب ما يفوت الوصف³⁷²، وبني وازلفن قرية كبيرة لها كروم وجنات ذوات سوان لزراع البصل والحناء والكمون ومعظمها على نهر شلف³⁷³، والخضراء مدينة صغيرة حصينة على نهر صغير عليه عمارات متصلة وكروم، وبها من السفرجل كل بديع ولها سوق وحمام³⁷⁴، أما مدينة وهران فقد اشتهرت بالحرث والنسل والخصب من الزرع الغالب من الحنطة الكثيرة واللحم السمين والسمن والفواكه³⁷⁵، أما مدينة وهران فقد اشتهرت بالحرث والنسل والخصب... والفواكه³⁷⁶، ومدينة مليانة فهي كريمة المزارع، ولها نهر يسقي أكثر زروعها وحدائقها وجناتها وعليه أرحاء، ولأقاليمها حظ من سقي نهر شلف، وسوق ريغة هي قرية لها أرض متسعة وحرث ممتدة وفواكه وبساتين، ولها سوق حسنة وبها كروم وزراع وعيون مضطردة، ومدينة نقاوس مدينة صغيرة كثيرة الشجر والبساتين، وأكثر فواكهها الجوز ومنها يتجهز به إلى ما جاورها من الأقطار، وبها سوق قائمة، وحصن بسكرة حصن منيع وبه سوق وعمارة وفيه من التمر كل غريبة وطريفة³⁷⁷.

3/ النباتات الصناعية والخشب: اشتهرت مدينة المسيلة بأنها لها مزارع قطن وقمح وشعير³⁷⁸، واشتهرت مقرة بزراعة الكتان قال الإدريسي: بها مزارع وحبوب وأهلها يزرعون الكتان وهو عندهم كثير³⁷⁹، وكذلك اشتهرت بونة بالكتان فبظاها معادن الحديد، ويزرع بها كتان كثير³⁸⁰، كذلك في متيجة لها مزارع ومسارح وهي أكثر تلك النواحي كتانا ومنها يحمل³⁸¹، وقد ذكر الأطباء القدامى أفضلية مناسبة ثياب الكتان للبدن عن ثياب القطن قال ماسرجويه: والثياب تختلف قواها بقدر الأصل التي تصنع منه، وثياب الكتان معتدلة في الحر والبرد والرطوبة واليبس، وهي أجدى أن تستعمل في الدواء وخاصة للقروح فإنها تحففها وتنشف البلة والعرق من الجسد، وقال عيسى بن ماسه والرازي: الكتان أبرد الملابس على البدن وأقلها لزوقا به وتعلقا، ولذلك هو أقلها احتمالا، ومن أراد ضمار بدنه فليشعره في الشتاء الجديد الناعم، وفي الصيف الغسيل الناعم، وإن أراد استبقاه، فبالعكس، لأنه ليس يلصق بدنه جدا فيحميه، وهو أفضل لملايسة الأبدان من ثياب القطن³⁸².

كما اشتهرت القلعة بنوع من النباتات الطبية قال الإدريسي: وبهذه المدينة عقارب كثيرة سود تقتل في الحال وأهل القلعة يتحرزون منها ويتحصنون من ضررها ويشربون لها نبات الفوليون الحراني ويزعمون أنه ينفع شرب درهين منه لعام كامل فلا يصيب شارها شيء من ألم تلك العقارب وهذا عندهم مشهور وقد أخبر بذلك من يوثق به في وقتنا هذا وحكى عن هذه الحشيشة أنه

³⁷¹-نزهة الأنظار، ج1، ص77

³⁷²-نزهة الأنظار، ج1، ص77

³⁷³-نزهة الأنظار، ج1، ص79

³⁷⁴-نزهة الأنظار، ج1، ص80

³⁷⁵-ابن الصباح: أنساب الأخبار، ص95

³⁷⁶-ابن الصباح: أنساب الأخبار، ص95

³⁷⁷-نزهة الأنظار، ج1، ص80-81

³⁷⁸- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (1/ 254)

³⁷⁹- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (ص: 80)

³⁸⁰- الحسن بن أحمد المهلب العزيري (المتوفى: 380هـ): الكتاب العزيري أو المسالك والممالك (ص: 47)

³⁸¹- البكري: المسالك والممالك (2/ 732)

³⁸²- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (22/ 149)

شربها وقد لسبته العقرب فسكن الوجع مسرعاً ثم إنه لسبته العقارب في سائر العام ثلاث مرات فما وجد لذلك اللسب المأً وهذا النبات ببلد القلعة كثير³⁸³، وكذلك اشتهرت بجاية بكثرة الأعشاب الطيبة في جبالها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون وهو جبل سامي العلو صعب المرتقى وفي أكنافه جمل من النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل شجر الحوض والسقول وفند وريون والبرباريس والقنطوريون الكبير والرزاوند والقسطون والإفستين أيضاً وغير ذلك من الحشائش³⁸⁴، وكذلك الأخشاب فيها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحراي لأن الخشب في جبالها وأوديتها كثير موجود ويجلب إليها من أقاليمها الزيت البالغ الجودة والقطران وبها معادن الحديد الطيب موجودة وممكنة³⁸⁵.

4/المنتجات الحيوانية:

اشتهرت قلعة بني حماد بالانتاج الحيواني، فهي فمن أعمها فواكه وخصبا وحنظتها رخيصة ولحومها طيبة،... وبلادها وجميع ما بنضاف إليها تصلح فيها السوائم لخصبها، وإذا كثرت فلاحتها أغنت وإذا قلت كفت، وأهلها أبدا شباع وأحوالهم صالحة³⁸⁶، وكذلك المسيلة لها مزارع ممتدة ولأهلها سوائم خيل وأنعام، ولها جنات وعيون وفواكه وبقول ولحوم ومزارع قطن وحبوب، وهذه المدينة عامرة بالتجار، وهي على نهر فيه ماء كثير منبسط على وجه الأرض وليس بالعميق وهو عذب وفيه سمك صغير عليه طرق حمر سنة لم ير في معمور الأرض سمك على صفته، وأهل المسيلة يفخرون به، وربما صيد منه الكثير فاحتمل منه إلى قلعة بني حماد وبينهما إثنا عشر ميلا³⁸⁷، كما ووصفت تلمسان بأن لحومها سميئة، وبالجملة فهي حسنة لرخص أسعارها ونفاق أشغالها وريح تجارتها³⁸⁸، وكذلك مدينة برشك لها بادية يشتررون العسل من الشجر والأجباح لكثرة النحل بالبلد وأكثر أموالهم الماشية³⁸⁹، وكذلك أهل وهران المواشى عندهم كثيرة³⁹⁰، وكذلك المسيلة لأهلها سوائم خيل وأغنام وأبقار وحنات وعيون وفواكه وبقول ولحوم ومزارع قطن وقمح وشعير³⁹¹، أما قلعة بني حماد فقد اشتهرت بلحومها الطيبة³⁹²، وكذلك قسنطينة اشتهرت بأن العسل بها كثير، وكذلك السمن يتجهز بهما إلى سائر البلاد³⁹³، وذكر ابن حوقل أن لأهل جزائر بني مزغنة: من العسل ما يجيز عنهم والسمن والتين ما يجيز ويجلب إلى القيروان وغيرها³⁹⁴.

وقد أرخ ابن مرزوق الخطيب في مناقبه المرزوقية للصنائع الضرورية بالمعاش التي كان يزاولها المجتمع الزباني قاصرا على الفلاحة في البساتين والمداشر—مدشر— داخل المدينة وخارج أسوارها³⁹⁵.

383- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (ص 77)

384- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (ص 79)

385- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (ج 1/ 260)

386- نزهة الأنظار، ج 1، ص 81-82

387- نزهة الأنظار، ج 1، ص 79

388- نزهة الأنظار، ج 1، ص 75

389- ابن حوقل أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلية (بعد 367هـ): صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، 1938 م، (ج 1/ 77)

390- صورة الأرض (1/ 77)

391- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (1/ 254)

392- نزهة الأنظار، ج 1، ص 81-82

393- نزهة الأنظار، ج 1، ص 83-84

394- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 215

395- الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص 177

ومن الفقهاء الذين مارسو هذه المهنة الفقيه المتصوف الأندلسي أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري 594هـ/ 1197م الذي عمل في الرعي بالأندلس وفي صيد البحر ثم الحياكة ثم ترك الحرفة³⁹⁶، وكذلك الفقيه أبو محمد بن سكات عبد الله بن حجاج بن يوسف الجزائري [562-641هـ/1166-1243م] تولى قضاء بجاية وطالت مدته وأخذ عنه، كان يتصدق بمرتبه ويأكل من فوائد عقار له ورثه ببلد الجزائر³⁹⁷، بينما الفقيه أبو النجم هلال بن يونس الغبريني كانت معيشتة من مستغلات أرض كانت له، وكان يصرف أكثرها في الصدقات³⁹⁸.

بينما كان أغلب المتصوفة يتعيش من الصيد بنوعيه البري والبحري، فكانوا يتزودون بالطرائد ويتناولون البقول حرصا منهم على أكل الحلال ابتعادا عن الشبهات، وهم يفضلون من اللحم أكل السمك لأنه مما مدح في القرآن الكريم وسهل المصدر وطعام شهي ولا شبهة في مصادره، حلال بين مباح بعيدا عن كل شبهة، وقد اشتهرت سواحل بجاية بالصيد لغناها بأنواع كثيرة من الأسماك³⁹⁹، فكان الفقيه أبو زكرياء يحيى الزواوي ينزل البحر إذا اشتهاه فيصيده وهو اللحم المفضل عنده⁴⁰⁰، بينما كان الفقيه أبو الفضل قاسم بن محمد القرشي [666هـ/1267م] يملك زورقا ويمارس الصيد بتدلس رفقة طلبته، فيركب البحر ويحمل آلة الصيد حتى يمتلئ الزورق بالحوت⁴⁰¹.

رابعا/ حرفة النسيج والحياكة والخياطة

1/ تعريفها: هي اتخاذ المنسوج للوقاية من الحر والبرد بإلحام الغزل حتى يصير ثوبا واحدا

2/ أقدميتها: هذه الصناعة قديمة في الخليقة، يتخذها أهل البدو وأهل الحضرة على حد سواء، وينسبونها إلى نبي الله إدريس عليه السلام⁴⁰².

3/ النسيج والحياكة عند أهل البادية: يقوم أهل البادية بإلحام الغزل حتى يصيرا ثوبا واحدا وهو النسيج والحياكة، فيقتصر عليه أهل البادية، أما الخياطة فمختصة بالعمران الحضري لأن أهل البادية يستغنون عنها، وإنما يستعملون الأثواب اشتمالا⁴⁰³.

4/ الخياطة عند أهل الحضرة:

³⁹⁶ - أنظر ترجمته في: التشوف، رقم: 162 ص 319-326 + التكملة، 2015 + صلة الصلة، ج4، ص223، + عنوان الدراية ص22 + سبك المقال، ص64 + 65 + أنس الفقير، ص14-22، طبقات الأولياء ص297

³⁹⁷ - التكملة، ج2، ص924-925، رقم: 2157 + عنوان الدراية، ص245 + 214-215 + تعريف الخلف برجال السلف، ج2 ص50

³⁹⁸ - الغبريني : عنوان الدراية، ص86

³⁹⁹ - مسعود بركة: الفضاء الثقافي البجائي، ج1، ص154-155

⁴⁰⁰ - الغبريني : عنوان الدراية، ص62

⁴⁰¹ - المصدر نفسه، ص80

⁴⁰² - ابن خلدون: المقدمة، ص517، 516

⁴⁰³ - ابن خلدون المقدمة، ص516-517

تعريف الخياطة: هي تفصيل المنسوجات بالمقراض قطعاً مناسبة للأعضاء البدنية، ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلًا أو تثبيتاً أو تفسخاً على حسب نوع الصناعة

طريقة أهل الحضرة في الخياطة: قال ابن خلدون وأهل الحضرة يفصلون المنسوج قطعاً يقدرّون منها ثوباً على البدن بشكله وتعدد أعضائه واختلاف نواحيها، ثم يلائمون بين تلك القطع بالوصلات حتى تصيراً ثوباً واحداً على البدن ويلبسونها، والصناعة المحصلة لهذه الملاءمة هي الخياطة⁴⁰⁴.

اختصاص أهل الحضرة بحرفة الخياطة: هذه الصناعة مختصة بالعمران الحضري، لما أن أهل البدو يستغنون عنها وإنما يشتملون الأثواب اشتمالاً، وإنما تفصيل الثياب وتقديرها وإحامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها⁴⁰⁵، لما أن الدفء ضروري للبشر في العمران المعتدل، وأما المنحرف إلى الحر فلا يحتاج أهله إلى دفء... كما يبلغنا عن بعض الأقاليم بالسودان أنهم عمارة⁴⁰⁶ ولا يتخذون اللباس

1/11 المواد الأولية: ينسج الغزل من الصوف والكتان والقطن، فيشارك في إنتاج المواد الأولية لازمة لصناعة النسيج الإنتاج الحيواني مثل الصوف والوبر والشعر، والنباتي مثل القطن والكتان.

1/111 أنواع المنتجات النسيجية: منها ما يتعلق باللباس كالأكسية من الصوف للاشتمال، ومنها الثياب من القطن والكتان والحرير، ومنها ما يستخدم بالمسكن وما يتعلق به كالخيم والأفرشة والاعطية والستائر والسجاد.

1/1111 الصناعات النسيجية والخياطة بالمغرب الأوسط:

ذكر ابن خلدون براءة أهل المغرب في هذا النوع من الصناعة فقال: كصناعة الصوف من نسجه والجلد في فرزه ودبغه، فإنهم لما استحضروا بلغوا فيها المبالغ لعموم البلوى بها، وكون هذين أغلب السلع في قطرهم لما هم عليه من حال البدواة⁴⁰⁷، فاشتهرت بلاد المغرب الأوسط في صناعة النسيج بسبب وفرة المادة الخام⁴⁰⁸، وتعتبر قلعة بني حماد مركزاً صناعياً شهيراً للأقمشة، واشتهرت بمنتجاتها الصوفية الرفيعة ويتخذ بها لبايد الطليقان جيدة غاية وبها الأكسية القلعية الصفيقة النسج الحسنة المطرزة بالذهب ولصوفها من النعومة والبصيص بحيث ينزل مع الذهب بمنزلة الإبريسم⁴⁰⁹، وتصنع بها أكسية ليس لها مثل في الجودة والرقّة إلا الوجدية التي تصنع بوجدة؛ يساوي كساء عيد من عمل القلعة 30 ديناراً⁴¹⁰، ويبدو أن الناس أصبحوا يتسابقون عليها الأمر الذي ربما جعل سعرها يرتفع، وكذلك بجاية حيث كان ملوك صنهاجة بها عمائم شرب مذهبة يغنون في أثمانها، تساوي العمامة الـ 500 دينار

404-المصدر نفسه، ص516

405-المصدر نفسه، ص516

406-ابن خلدون: المقدمة، ص517

407-ابن خلدون: المقدمة، ص507

408-جودت عبد الكريم يوسف: الاوضاع الاقتصادية، ص 90.

409 - ياقوت الحموي: معجم البلدان (4/ 390)

410 - مجهول: الاستبصار في عجائب الامصار (1/ 170)

وال 600 دينار وأزيد. وكانوا يعمونها بأتقن صنعة فتأتى تيجانا وكان ببلادهم صناع لذلك، يأخذ الصانع على تعميم عمامة منها دينارين وأزيد. وكانت لهم قوالب من عود في حوانيتهم، يسمونها الرعوس، يعممون عليها تلك العمائم⁴¹¹، كما ازدهرت صناعة البرنوس ببجاية ولقيت رواجاً كبيراً لتوفر المادة الأولية وتوفر سوق استهلاكية واسعة، وأنواع أخرى مختلفة من الألبسة⁴¹² كما وردت حمولات بكميات كبيرة لأنواع مختلفة من الأقمشة على بجاية، كانت تستعمل في الصناعات النسيجية والألبسة والخمارات والسجاد والبعض الآخر يصدر إلى مناطق أخرى، وكانت هذه الحمولات تصل خصوصاً من مرسيليا وميروقة⁴¹³، كما مارس بها هذه المهنة مختلف أصناف الناس ومنهم الفقهاء حيث اشتهر الفقيه أبو محمد عبد الله الشريف بمعرفته بحرفة الخياطة التي كانت توفر له قوته بكده، كما أن الفقيه أبو زهر ربيع بن عمر عندما استقال من مهنة الكتابة في ديوان الوالي امتهن حرفة الخياطة حيث تدهورت معيشته، وكذلك الفقيه محمد بن أحمد الإريسي الذي كان شيخ كتبة الديوان بقصر بجاية فتركها وامتحن حرفة الخياطة بمدخول محدود⁴¹⁴.

كما اشتهر قماش تلمسان ويعرف بالتلمساني مما يعمل بتلمسان، وهو نوعان: مختم وغير مختم، منها صوف خالص، ومنها صوف وحرير⁴¹⁵، ومنها تحمل ثياب الصوف المفضلة على جنسها المصنوع في سائر المغرب. وتحمل منها الجم الخيل والسروج وما يتبع ذلك⁴¹⁶، بالإضافة إلى نوع من أغطية الرأس والتي تعرف بشواشي الخبز، فقد تطرق إلى ذلك البيذق في كلامه عن وصول ابن تومرت إلى بجاية لقي الصبيان في زي النساء بالصفائر والأضراس والزينة وشواشي الخبز، كما ذكر لنا في حديثه عن إقامة ابن تومرت ببجاية كان ينهي الناس عن لباس الفتوحات للرجال⁴¹⁷ وهي من بعض الملابس التي كانت موجودة في تلك الفترة. فقد أرخ ابن مرزوق الخطيب في مناقبه المرزوقية للصنائع الضرورية بالمعاش التي كان يزاولها المجتمع الزياني من حياكة الصوف وما يتبعه من نسج الغزل وتحويله بالخياطة إلى ثياب وأكسية⁴¹⁸.

وقد وجدت بتلمسان أسواق مختلفة لتسويق المنتجات المحلية كسوق العطارين والحدادين والدباغين والصبغين والألبسة والنسيج⁽⁴¹⁹⁾، ومن بين الذين زاولوا حرفة الخياطة بتلمسان الفقيه أحمد بن زكري وهو غلام فقد نشأ يتيماً، وتعلم الحياكة فاستؤجر للعمل بنصف دينار في الشهر⁴²⁰، فكان في أول أمره حائكاً فدفع له شيخه ابن زاغو غزلاً ينسجه له، ثم إنه حضر عند ابن زاغو يطلب منه غزلاً يكمل به فوجده يدرس ويقرر قول ابن الحاجب، وخرج في الجميع قولان فأشكل معناه على الطلبة وعسر عليهم

411- مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار (1/ 129)

412- مسعود بريكة: الفضاء الثقافي البجائي، ج1، ص144

413- مسعود بريكة: الفضاء الثقافي البجائي، ج1، ص137

414- مسعود بريكة: الفضاء الثقافي البجائي، ج1، ص163-165

415- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (4/ 159)

416- ابن سعيد: الجغرافيا (ص34)

417- البيذق، أخبار المهدي ابن تومرت، د ط، الرباط، دار المنصور للطباعة، 1971، ص13.

418- الطاهر بونايي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص177

(419) - الطاهر بونايي: الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط الزياني من خلال نص المناقب، نقلاً فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، ج2، ص215.

420 - الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (1396هـ): الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، - أيار / مايو 2002م، (ج1/ 231)

فهمه، فقال له ابن زكري: أنا فهمته ثم قرره أحسن ما ينبغي فقال له الشيخ مثلك يشتغل بالعلم لا بالحياكة⁴²¹، كما أن الفقيه البجائي أبا الزهر كتب لبعض الولاة ببجاية واكتسب معه مالا... ثم تاب إلى الله ونزع عن الكتابة واشتغل بملازمة العبادة ولزوم القراءة واستعمل حرفة الخياطة للمعيشة فلم يكفه ما ينتحله من ذلك⁴²²، كما مارسها عند استقراره ببجاية الفقيه أبو بكر الخدب محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري [580هـ/1184م] حيث كان محترفا بالتجارة والخياطة⁴²³، والفقيه المتصوف الأندلسي أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري 594هـ/1197م الذي عمل في الرعي بالأندلس وفي صيد البحر ثم الحياكة ثم ترك الحرفة⁴²⁴

خامسا/حرفة النجارة

ا/تعريفها: هي تحويل الخشب بالصناعة وتطوعيه حسب الاستعمال.

ا/أقدميتها: هي صناعة قديمة، ينسب تعليمها إلى نبي الله نوح عليه السلام، والقائم على هذه الصناعة هو النجار وهو ضروري في العمران⁴²⁵

1/حرفة النجارة عند أهل البادية: أما أهل البدو فيتخذون من الأشجار العُمد والأوتاد لخيامهم، والحدوج لظعائهم، والرماح والقيس والسهام لسلاحهم

2/حرفة النجارة عند أهل الحضر: يتخذون من الخشب السقف لبيوتهم والأغلاق لأبوابهم، والكراسي لجلوسهم، وإذا عظمت الحضارة وجاء الترف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف، من سقف أو باب أو كرسي أو ماعون، حدث التألق في صناعة ذلك واستجداته يغرائب من الصناعة كمالية ليست من الضروري في شيء، كما يحتاج إلى هذه الصناعة في إنشاء المراكب البحرية ذات الألواح والدُّسر

ا/حرفة النجارة في المغرب الأوسط:

فقد استفادت المسلية من الأشجار التي تحف بها، حيث وجدت بعض الغابات في المناطق الجبلية المحيطة بالسهل،

⁴²¹ - التنبكي أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكي السوداني، (1036 هـ): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، ط2، 2000 م، (ص129-130)

⁴²² - الغبريني: عنوان الدراية، ص09

⁴²³ - أنظر ترجمته في: الذيل، السفر5 القسم2، ص648+ جذوة الاقتباس ج1 ص271-272، رقم: 277

⁴²⁴ - أنظر ترجمته في: النشوف، رقم: 162 ص319-326 + التكملة، 2015 + صلة الصلة، ج4، ص223، +عنوان الدراية ص22+سبك المقال، ص64+65+ أنس الفقير، ص14-22، طبقات الأولياء ص297

⁴²⁵ - ابن خلدون: المقدمة، ص515

فاستعملت خشبها في البناء وصناعة بعض الأثاث⁴²⁶.

كما اشتهرت بجاية بالصناعات الخشبية بالإضافة إلى ورش لصناعة الخشب⁴²⁷، بسبب وفرة الخشب في ضواحيها، فاستغله سكانها في صناعة ما يحتاجون إليه من الأثاث وبناء الدور والقصور⁴²⁸.

وكانت بما دارا لصناعة السفن كما قال الإدريسي: فيها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرايبي لأن الخشب في جبالها وأوديتها كثير موجود ويجلب إليها من أقاليمها الزيت البالغ الجودة والقطران وبها معادن الحديد الطيب موجودة وممكنة⁴²⁹، وذلك لكونها تقع على ساحل البحر المتوسط سهل لها مهمة الاتصال بالموانئ القريبة والبعيدة عنها، كما أن سكانها قد اهتموا بالنشاط التجاري مما أدى بهم الاهتمام بصناعة السفن التي تستعمل لأغراض شتى منها نقل السلع التجارية عليها أو القيام بالجهد البحري⁴³⁰ وخلاصة القول أن بجاية جهزت بمصانع السفن وورش التصليح⁴³¹.

فقد امتلكت بجاية أسطولا قويا منذ عصر الحماديين عرفت سفنه بالشواقي، ففي سنة 529 هـ سير يحيى بن عيد العزيز بن حماد صاحب بجاية عسكريا ليحصروا المهديّة... وسير عسكريا كثيرا واستعمل عليهم قائدا كبيرا من فقهاء الصحابة يقال له مطرف بن حمدون فساروا حتى نزلوا على المهديّة وحصروها برا وبحرا... فملكته شواتيه شاطئ البحر وقاربوا من السور⁴³².

ه/ صناعة الفخار والخزف والزجاج:

صناعة الفخار من أهم الحرف التي عرفها الإنسان منذ القديم، ويمكن تشكيله من مواد أولية ووجدت مع الإنسان وهي التراب والماء والنار⁴³³، وتضاف إليه طبقة رقيقة من الخامات المكونة للزجاج على سطح الأواني الفخارية ثم حرقها ويسمى الفخار المزجج، وتستعمل الأواني الفخارية لإعداد الطعام والأكل والشرب بالإضافة إلى حفظ الماء والسوائل وخزن الحبوب⁴³⁴.

وقد مارس سكان المسيلة هذه الحرفة بإتقان مثل الأواني الفخارية التي وجدت بحج الأشياخ⁴³⁵، كما مارسها سكان القلعة التي كان بها معامل الخزف والزجاج نتيجة لوفرة المادة الأولية من طين ورمال⁴³⁶، وكان الحماديون يقومون بتعيين أماكن الطين، حيث تنقل منه كميات على شكل كتل إلى ورشات الصناعة، أين يتم تحويلها بتفتيت تلك الكتل وتنقيتها من الحجارة والجذور وبعدها توضع في أحواض مدة معينة، ثم يخرجونها من هذه الأحواض، وتوضع في أماكن مستوية على شكل كتل وبهذا تصبح الطينة

426- عيسى بن الذيب وآخرون: الحواضر والمراكز الثقافية خلال العصر الوسيط، المركز الوطني للجزائر، ص 82.

427- يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1999م، ص 158.

428- حساني مختار: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة، 2007، ج3، ص 280.

429- زهبة المشتاق في اختراق الآفاق (ج1/ 260)

430- حساني مختار، موسوعة المدن، ص 280.

431- مورييس لومبار، المرجع السابق، ص 95.

432- أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني: الكامل في التاريخ، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية - بيروت - 1415هـ، ط2، (9/

285)

433- ناهض عبد الرزاق القيسي، الفخار والخزف، دار المناهج، الأردن، ط1، 2009م، ص 101.

434- ناهض القيسي، المرجع السابق، ص 100.

- كمال بيرم، المرجع السابق، ص 97⁴³⁵

436- عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 75.

صالحة للاستعمال وتباع لصناعي الأواني الفخارية،⁴³⁷ وهذه العملية تدل على مهارة الحرفيين الحماديين حيث يظهر ذلك جليا في الأجزاء التي وجدت أثناء حفر حديث في القلعة يوضح صناعة الخزف والبلاط والتحف الفنية التي كانت موجودة بها⁴³⁸ وتنقسم هذه القطع إلى نوعين:

- خزف معماري: فقد عثر رشيد بوروية على القرميد والأجر الذي ينقسم بدوره إلى نوعين آجر عادي وآخر استعمل لتزيين النوافذ واستعمل لجمع المياه.⁴³⁹

- أواني خزفية: كما عثر كذلك رشيد بوروية على جرة بمسجد قلعة بني حماد بالإضافة إلى أواني مختلفة عشر عليها القائد دي بلي والأستاذ قولفين،⁴⁴⁰ فقد وجد في الخرائب بعض أوعية البلسم وزجاجات العطور والصحاف وبعض القصاع المختلفة الدقيقة الصنع ويؤكد ذلك جورج مارسيه في حديثه عن القلعة بقوله: ويظهر أن صناعة الفخار يومئذ بلغت مبلغا عظيما،⁴⁴¹ تشهد بذلك القطع التي اكتشفها جورج مارسيه وهي عبارة عن صحنون كبيرة مسطحة القعر وصحافا وجرارا مزخرفة⁴⁴².

بالإضافة إلى بقايا درابزينات مصنوعة من الجص ومرصعة بالزجاج الملون وبعض قطع من القوارير وعرى الأباريق، وأعناق الأواني والقعور المزركشة أحيانا باللون الأزرق والأخضر والأحمر، وقد عثر على قطعة من وعاء مصبوغ في صلب الرخام الأبيض والأسود واستمرت هذه الصناعة بعدما فقدت المدينة جزء من أهميتها⁴⁴³، وعثر على مثل تلك القطع في بجاية،⁴⁴⁴ حيث سكنها فخاريين وخزافين يصنعون أواني مختلفة.⁴⁴⁵

والقلل الرقيقة جدا المصنوعة من الصلصال مثل التي استخرجت في بجاية⁴⁴⁶، ووجدت هذه الحرفة نتيجة للأرضيات الصلصالية الموجودة خصوصا في السهل جنوب بجاية قرب مصب الصومام⁴⁴⁷ وازدهرت صناعة الزجاج في بجاية والقلعة.⁴⁴⁸

وما اكتشف من آثار المدينتين قلعة بني حماد وبجاية احتفظ به في متحف الجزائر واللون الأصفر فقليل الظهور بينما لم يظهر الأزرق إلا في القطع التي يعود تاريخها إلى فترات متأخرة نسبيا.⁴⁴⁹ والأواني الخزفية استخدمت لجمالها عوض الأواني الفضية والذهبية، وهي شبيهة بما وجد في المغرب الأقصى والأندلس على عهد الموحدين⁴⁵⁰.

437- كمال الصادقي: المرجع السابق، ص 97.

438- عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 225.

439- رشيد بوروية: المرجع السابق، ص ص 276-277.

440- رشيد بوروية: المرجع نفسه، ص 278.

441- عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 255.

442- رشيد بوروييه: المرجع السابق، ص 274.

443- جورج مارسيه، المرجع السابق، ص 230.

444- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص 439.

445- عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 255.

446- جورج مارسيه، المرجع السابق، ص 208.

447- دومينيك فاليرين، المرجع السابق، ج 1، ص 279.

448- جورج مارسيه: المصدر السابق، ص 208.

449- إسماعيل العربي، دولة بني حماد، ص 241.

450- محمد الطمار، المغرب في ظل صنهاجة، ص 234.

سادسا/حرفة صناعة المعادن:

1/ **توفر المعادن في المغرب الأوسط:** توفرت بلاد المغرب الأوسط على معدن الحديد خصوصا بونة وبجاية، فبونة بظاها معاين الحديد⁴⁵¹، وبجاية بما معاين الحديد الطيب موجودة وممكنة⁴⁵²، وتصنع مواد من المعادن كالنحاس والحديد، وتباع في أسواق القلعة وتصدر إلى خارج المدينة،⁴⁵³ وكانت هذه الحرفة كذلك في بجاية التي احتوت على حرفيين مختصين في صناعة الرحي⁴⁵⁴، وقد ووجدت بتلمسان أسواقا خاصة لبيع مختلف المنتجات المعدنية منها سوق الحدادين والدباغين والصباعين والألبسة والنسيج⁽⁴⁵⁵⁾.

11/ **أنواع الصناعات المعدنية:** وتمثل في صناعة أشياء وأشكال مختلفة بالمعادن.

1/ **الأواني والتحف المنزلية:** حيث عثر القائد دي بلي على تحف عديدة في القلعة مصنوعة من البرنز مثل طيران وجزء من قفل ورجل إناء، وشوكة ذات أسنان قصيرة وصحيفتان ورأس مسمار وقطعة مزينة بزخارف هندسية ونباتية وكتابية⁴⁵⁶، بالإضافة إلى صنع السلاح وعتاد الحرب وأواني النحاس والذهب والفضة⁴⁵⁷، فعرفت مدينة بجاية صناعة أواني النحاس الموجهة لأصحاب الجاه والأثرياء لاستعمالها في تحميل الموائد، والجدران وأواني الشراب⁴⁵⁸

2/ **صناعة الأسلحة:** تستخدم مختلف المعدن وخاصة الحديد في صناعة مختلف أنواع الأسلحة الحربية، الفردية والجماعية، المحمولة والمجرورة بالحيوانات، كالسيوف والذروع والذبابات وغيرها.

3/ **صناعة الحلبي:** بالإضافة إلى صناعة الحلبي وهي كل ما ينقش من مصنوع المعدنيات كالذهب والفضة والنحاس والأحجار الكريمة كالياقوت والمرجان والعقيق بمختلف أنواعه⁴⁵⁹ فهي صياغة المعادن الثمينة والجواهر تلبية لرغبة الترف لدى الأمراء وكبار الأثرياء وبعض الناس⁴⁶⁰، ونجد هذه الصناعة في مدينة الحمادية -مسيلة- مارسها رشيق القيرواني وعلمها لابنه الحسن من بعده الذي ولد سنة 370هـ/980م⁴⁶¹، وقلعة بني حماد عرفت مثل هذه الصناعة وذلك من خلال ما عثر عليه في القلعة وهي معروضة في متحف قسنطينة وسطيف، كما اختصت بجاية بهذه الحرفة على عهد الدولة الحمادية⁴⁶²

ففي متحف قسنطينة نجد أقراط ومشابك أحدهما مزين برأس طيرين وصحيفة من النحاس مثلث الشكل وقطعة سوار

451- الحسن بن أحمد المهلي العزيمي (المتوفى: 380هـ): الكتاب العزيمي أو المسالك والممالك (ص: 47)

452- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (ج1/ 260)

453- المقدسي، أحسن التقاسم، ط2، ص 288.

454- عمار عمورة، المرجع السابق، ص122.

(455) - الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص188، نقلا عن فيلاي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، ج2، ص215.

456- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص306.

457- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، د ط، الجزائر، دار الأمة، 2008م، ج1، ص379. يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص158.

458- يوسف عابد، الموحدون في بلاد المغرب (515 - 595 هـ / 1120 - 1199 م) - دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، رسالة دكتوراه، تحت إشراف عبد العزيز فيلاي، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2006 - 2007 م، ج2، ص446.

459- كمال صادقي، المرجع السابق، ص597.

460- جمال أحمد طه، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، ط1، الإسكندرية، دار الوفاء، 2008، ص199.

461- القفطي، أنباء الرواة على أنباء النحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، بيروت، دار الفكر العربي، 1406 هـ / 1982م، ص333.

- كمال صادقي، المرجع السابق، ص100. 462

ودبابييس وعقد.

أما الحلبي الموجودة في متحف سطيف عشر عليها أثناء الحفرية التي تمت بجامع القلعة وتتألف من ثلاث خواتم وسوار وأقراط وعقد وأبرزيم.⁴⁶³

يستورد الذهب من السودان ويستخدم في المغرب الأوسط كما ذكر الحميري في صك النقود⁴⁶⁴ فيجعلونه دنانير ذهبية، وكذلك في صناعة الحلبي، وقد حمله معهم الفاطميون عند رحليهم إلى مصر⁴⁶⁵.

4/ضرب السكة: استخدمت دار السكة في المغرب الأوسط لضرب الدنانير الذهبية والدرهم الفضية والفلس النحاسي، من أشهره الدينار الذي ضربه عبيد الله المهدي [297-322هـ/909-934م]، بالمهدية، وكان شكله مستدير سنة سبع عشر وثلاث مائة⁴⁶⁶، كما ضرب يزيد بن مخلد الكدادي دنانير باسمه، عشر على زير منها بضواحي القيروان احتوى على ثمانمائة قطعة ذهبية⁴⁶⁷، ومنها دينار المعز بن باديس حيث أمر بتبديل السكة سنة 441هـ/1146-1147م، وضرب دنانير كثيرة⁴⁶⁸، وأشهر ما وصل من سكة الحمادين الدينار الذي ضربه يحيى بن العزيز سنة 543هـ/1051م⁴⁶⁹، كما ضرب الموحدون عملتهم بدار السكة في بجاية حيث أمر عبد المؤمن بن علي بصك ثمانية دنانير، وكذلك ابنه أبي يعقوب يوسف ضرب ستة دنانير⁴⁷⁰.

يستورد الذهب من السودان ويستخدم في المغرب الأوسط كما ذكر الحميري في صك النقود⁴⁷¹ فيجعلونه دنانير ذهبية، وكذلك في صناعة الحلبي، وقد حمله معهم الفاطميون عند رحليهم إلى مصر⁴⁷².

ومن الدراهم الفضية في المغرب الأوسط درهم أبي القاسم محمد بن القائم بأمر الله [322-334هـ/934-954م]⁴⁷³، والدرهم الفاطمي له نصف الدرهم أو القيراط، وربع الدرهم، وثمان الدرهم أو الخروبة، والجزء السادس عشر من الدرهم⁴⁷⁴، ودرهم الرستميين بتيهت، وأشار البكري إلى دراهم تنس ونكور وأرشكول⁴⁷⁵.

ومن الفلس البرونزي الذي ضربه الرستميون بتيهت⁴⁷⁶، كما كان الفلس النحاسي معروفا في بلاد المغرب حتى نسب إليها مكان بالقرب من التنس يدعى قصر الفلوس⁴⁷⁷ ذكره اليقوي وقال: قرب وهران⁴⁷⁸.

463-رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 309.

464- الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار (ص611)

465-جودت عبد الكريم: الاوضاع الاقتصادية، ص225

466-صالح بن قرية: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ص287

467-جودت عبد الكريم: الاوضاع الاقتصادية، ص173

468- البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب (ص: 121)

469-ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون (ج6/ 177)

470- عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة الجزائر، ص149

471- الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار (ص611)

472-جودت عبد الكريم: الاوضاع الاقتصادية، ص225

473-صالح بن قرية: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، ص287

474-رشيد بورويبة:، ص154

475- جودت عبد الكريم: الاوضاع الاقتصادية، ص175

476-جودت عبد الكريم: الاوضاع الاقتصادية، ص173

477- جودت عبد الكريم: الاوضاع الاقتصادية، ص177

/تعريفها: هي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى للأبدان في المدن

/ادوافعها: فالإنسان لا بد أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد، كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها

/أقدميتها: هي من أول حرف وصنائع العمران الحضري وأقدمها

/مواد وطريقة البناء: تتنوع طرق البناء وتتعدد استعمال مواد أنواع كثيرة،

1/ الطريقة الأولى: فمنها البناء بالحجارة المنجدة أو بالآجر، يقام بها الجدران مُلصقا بعضها إلى بعض بالطين والكلس الذي يعقد معها ويلتحم كأنها جسم واحد، وقد تؤسس الجدران بالحجارة ويلحم بينها بالكلس، ويعالي عليها بالأصبغة والجصّ، ويبالغ في ذلك بالتنجيد والتنميق، إظهارا للبسطة بالعناية في شأن المأوى⁴⁷⁹.

2/ الطريقة الثانية: ومنها البناء بالتراب خاصة، تقام منه حيطان يتخذ لها لوحان من الخشب مقدران طولاً وعرضاً،...ويوصل بينهما بأذرع من الخشب يربط عليها بالحبال والجدر، ويسد ذلك الخلاء بينهما بلوحتين آخريين صغيرين، ثم يوضع فيه التراب مخلطاً بالكلس، ويركز بالمراكز المعدة حتى تنعم ركزه ويختلط أجزاءه بالكلس، ثم يزداد التراب ثانياً وثالثاً...بممتلى، ويسمى الطابية وصانعه الطواب⁴⁸⁰.

1111/إختلاف الناس في أشكال البنيان: تختلف أحوال البناء في المدن، حسب كل مدينة وما يتعارفون ويصطلحون عليه ويناسب مزاج هوائهم، واختلف أحوالهم في الفقر والغنى، وكذا حال أهل المدينة الواحدة، فمنهم من يتخذ القصور والمصانع العظيمة الساحة، المشتتة على عدة الدور والبيوت والغرف الكبيرة، لكثرة ولده وحشمه وعماله وتابعه، ويهيء مع ذلك الاشراب والمطامير لاختزان أقاته والاسطبلات لربط داوبه، إذا كان من أهل الجنود وكثرة التابع والحاشية كالأمراء ومن في معناهم، ومنهم من يبني الدويرة والبيوت لنفسه وسكنه وولده، لا يبتغي من وراء ذلك، لقصور حاله عنه، واقتصاره على السكن الطبيعي للبشر⁴⁸¹.

1111/استخدام الطوب الطيني في المغرب الأوسط: يعد الطوب أحد المواد الأساسية في بناء المنازل أو المصانع أو المرافق العامة المختلفة، وقد ظهرت هذه الصناعة في بلاد المغرب وبالتحديد في مدينة المسيلة نتيجة لوفرة المادة الخام وهي الماء والطين، حيث حدث عبد الرحمن ابني الوليد مروان بن أبي سنحمة المسيلي بأن والده كان يعمل الطوب بيده فيتصدق بثلث ما يربحه وينفق الثلث

478 - ياقوت الحموي أبو عبد الله بن عبد الله: معجم البلدان، دار الفكر - بيروت، (4/ 362)

479 - المصدر نفسه، ص510-511

480 - المصدر نفسه، ص511-512

481 - المصدر نفسه، ص510-511

الثاني ويرد ثلث في الطين والتبن وفيما يصلح به عمل الطين. (482)

الإحصار الصناع من الأندلس لبناء القصور الزيبانية بتلمسان: وذلك من طرف السلطان أبي حمو موسى الأول (707-718هـ/1307-1318م) وابنه أبي تاشفين (718-737هـ/1318-1337م) لبناء قصور الملك بتلمسان، فاستدعى لها الصناع والفعلة من الأندلس لحضارتها وبدواة دولتهم يومئذ بتلمسان، فبعث إليهما السلطان أبو الوليد 713-725هـ/1313-1325م صاحب الأندلس بالمهرة والحذاق من أهل صناعة البناء بالأندلس، فاستجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين بما أعيى على الناس بعدهم أن يأتوا بمثله⁴⁸³.

ثامنا/ الدباغة: تقوم هذه الحرفة عن طريق تنظيف الجلود وتليينها ثم دبغها من خلال غمر الجلد في الماء لمدة ثم وضعه في النخالة ومادة الملح والشب⁴⁸⁴ وتضم صناعة الجلود الدباغين والقراقين والسراجين (صانعي السروج)، وهذه المهنة الجلدية مهمة وضرورية لارتباطها بالمدينة التي لها صلة بحاجيات سكان الريف والحضر على السواء، والدباغة كانت من الحرف المزدهرة والمنتشرة في جميع المدن المغربية فحظيت الجلود المدبوغة بشهرة واسعة وكانت من أكثر المدن شهرة بهذه الصناعة المسيلة وبجاية⁴⁸⁵ بدليل أن أحد أبواب بجاية سمي بباب الدباغين⁴⁸⁶ لقيام حرفة الدباغة في جوار ذلك الباب ويصنع من ذلك الجلد المدبوغ الأفرشة والخيام وأكياس وسروج فكان ابن رشيق المسيلي أشهر الشعراء في بلاط المعز بن باديس كان يصنع السروج⁴⁸⁷ كما يُصنع من الجلد الأحذية التي برع فيها أهل بجاية⁴⁸⁸ حيث عُرفوا بالأقراق الزرارية⁴⁸⁹، التي نعى عن لبسها ابن تومرت⁴⁹⁰ وتلك الأقراق هي عبارة عن جلد على جلد وبينهما خرقة تغلظه، وقد تدخل الفقهاء بالنهي عن الخلط بين جلد العنز وجلد الضأن⁴⁹¹.

أما بتلمسان فقد أرخ ابن مرزوق الخطيب في مناقبه المرزوقية للصنائع الضرورية بالمعاش كدباغة الجلد وخرزه بأطراف المدينة وما يرتبط به من صناعات جلدية متمثلة في صناعة النعال والسباط والسروج بالمحلات الحرفية بالمدينة⁴⁹².

ويتعلق بدبغ الجلود صناعة السروج من مختلف أنواع الجلد المدبوغ فاشتهر أحد الأندلسيين بصناعتها في قسنطينة وهو الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف السراج الأنصاري الأندلسي [746هـ/1345م] كان سراجا ببلد قسنطينة، كثير الزيارة

482- المالكي، رياض النفوس، تح بشير البكوش، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994، ج1، ص 392.

483- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ/1988م، (ج7/190)

484- كمال صادقي، المرجع السابق، ص 45 - 46.

485- يوسف عابد، المرجع السابق، ص 491.

486- الغبريني، المصدر السابق، ص 50.

487- كمال صادقي، المرجع السابق، ص 119.

488- عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص 231.

489- الأقراق الزرارية: نوع من النعال، والقرق مشتق من الكلمة اللاتينية كركس. يوسف عابد، المرجع السابق، ص 492.

490- البيدق، المصدر السابق، ص 13.

491- السقطي، في آداب الحسبة، ص 63.

492- الطاهر بونابي: الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص 177

بملارة لجد ابن قنفذ لأمه ومن إخوانه، وحريصا على القيام بجوائجه، وكان إذا سمع بقدمه يأتي إلى منزل نزوله فيتفقد سرجه هل يحتاج إلى إصلاح أو لا؟ وإذا احتاجت رقعها بيده⁴⁹³.

وذكر ابن خلدون تفوق أهل المغرب في الصناعات الجلدية فقال: كصناعة الصوف من نسجه والجلد في فرزه ودبغه، فإنهم لما استحضرُوا بلغوا فيها المبالغ لعموم البلوى بها، وكون هذين أغلب السلع في قطرهم لما هم عليه من حال البدواة⁴⁹⁴، وتوسعت هذه الصناعة بتلمسان حتى خصصت لها أسواق لبيع المنتجات الجلدية إلى جانب أسواق أخرى كأسواق العطارين والحدادين والدباغين والصباعين والألبسة والنسيج⁽⁴⁹⁵⁾

⁴⁹³ - ابن قنفذ: أنس الفقير، ص 88-89

⁴⁹⁴ - ابن خلدون: المقدمة، ص 507

⁽⁴⁹⁵⁾ - الطاهر بونابي: الطاهر بونابي: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص 188 ، فيلاي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني ، ج 2،